الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس

كليـة الادب والفنون

مستغانم



قسم : اللغة العربية

فرع : الدراسات الأدبية المقارنة

تخصص : الادب المقارن

أثر ألف ليلة وليلة في السرد الفرنسي

إعداد الطالبة :

بوزيان زهيرة

إشراف الأستاذ:

حمودي محمد

السنة الجامعية 2016-2017

شكر وتقدير:

نشكر الله عز وجل الذي أنعم علينا نعمة الإرادة ونور البصيرة لطلب العلم والتعلم الذي رزقنا الهداية إلى سبيل الرشاد وثبت خطانا وزادنا معرفة وعلما.

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان وجميل العرفان إلى الأستاذ المشرف

"حمودة محمد" الذي تجشم عناء الإشراف على هذا البحث وتحمل عناء الصبر

وسعة الصدر لكل ما صدر ويصدر عني من هفوات فكان نعم الأستاذ المشجع في لحظات الإحباط فقد يعجز اللسان والقلم عن القيام بشكره لما منحني إياه من وقت وجهد فكان خير عون بتوجيهاته الدقيقة وتوصياته السديدة.

كما لا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر الى أساتذة لجنة المناقشة على ما سيبدلونه من جهد في قرأة هذه المذكرة وتقويمها وأسأل الله لهم أن يكرمهم ويجزيهم خير جزاء.

كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد من دون أن ننسي عمال المكتبة.

وجزيل الشكر إلى كل من صنعوا لنا جوا ملائما لإنجاز هذا البحث.

الإهداء:

أهدى ثمرة جهدي إلى من فيهما قال عزوجل:

" فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح من الذل والرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

إلى من عرفتني بقلبها قبل أن تراني عينها ولم أستطع أن أوفر ولو جزء بسيط من حقها أمي زازة أطال الله عمرها.

إلى من سار معي منذ بداية الطريق حتى هذه اللحظة وكان دافعا لي في كل نجاح، إلى مصدر الأمان وراحة البال أبي الغالي عدة.

إلى الذين تقاسمت معهم رحم أمي إخوتي: رشيدة، سمرة وزوجها محمد، ونجاة وزوجها عبد الله، منصورية، وأخي فؤاد والى أبناء إخوتي: سعاد، محمد، عماد، أيوب، يونس، وخاصة ياسر.

وإلى أعز إنسان على قلبي وأغلى ما في حياتي إلى رفيق العمر فاروق.

والى من ساندني في إنشاء مذكرتي له كل الشكر والتقدير " بوبكر عبد الباقي" وزوجته " سمية"

إلى صديقاتي التي جمعتني معهم أحلى الذكريات وعشت معهن أيام عمري وبالأخص نورة، سعاد، سارة، حفصة، جميلة، نصيرة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد الأمين شفيعنا يوم القيامة وقائدنا إلى الزلفى أجمعين، صاحب الأذكار، هازم الأحبار بعون الجبار أما بعد:

ان متأمل للسرد العربي في مقدمته ألف ليلة وليلة، يلاحظ مدى تناسق عباراتها وترابط ألفاظها ،وجمالية أسلوبها وتتابع الأحداث والتي تكمن نوعية قصصية في مداعبة الخيال وتجعله يشاهد ما يقرأه كأنه يعيش القصة.

ألف ليلة وليلة كتاب يحوي مجموعة قصص شرقية التي اتجهت في رحلة الى الغرب، وقد تنقل هذا الكتاب في بلاد كبيرة، وكانت هذه البلاد تضفي عليها من طابعها وتضيف اليها من حكاياتها لهذا نجد أهل الغرب قد اعتنوا بهذا الكتاب عناية عظيمة، وليس من ميسور احصاء الطبعات أو الترجمات أو الدراسات التي ظفر فيها هذا الكتاب عند الغربيين.

أحدثت ألف ليلة وليلة هزة جمالية، فقد أضافت إلى الخيال الأوروبي أبعادا رمزية وفجرت لديه طاقة لا متناهية من الإيحاء بسردها الادهاشي وقصصي العجائبي، وخلقت في وجدانه إيقاعا رومانسيا حالما، وزودته بروحانية الشرق، لذلك أصبح الأدب الغربي وخاصة الفرنسي يبدي اهتماما بألف ليلة وليلة منذ ترجمة غالان مدفوعا بغريزة التطلع والرغبة في الانعتاق من قواعد العقلانية المتشددة والخروج من طوق الكلاسيكية الخانق، وامتد اهتمامهم بالليالي ليشمل فن الرواية بدرجة أكبر خاصة في القرن الثامن عشر وهو قرن الرواية الفرنسية، فألهبت الليالي الخيال الفرنسي وغرست فيهم الكثير من حب الاطلاع والتشويق إلى زيارة الشرق، فالنجاح الذي حققته ترجمة غالان كان باهرا كاسحا وكأن هذه الحكايات وجدت في فرنسا، تربة خصبة فنبثث وأثمرت بلا حواجز عنصرية، أوعقد نفسية، إلى غير ذلك .

وعليه نطرح الاشكالية التالية :

كيف كان تأثير الليالي في الأدب الغربي؟ ومن هم أبرز الأدباء الفرنسيين متأثيرين بالليالي؟

وقد وقع اختيارنا تحديدا على هذا الموضوع لأننا نجد متعة أدبية في قرأة حكايات ألف ليلة وليلة وهذا ما يمكن اختيار سبب ذلك ،أما عن السرد الموضوعي فيمثل في المكانة الأدبية التي يحتلها كتاب ألف ليلة وليلة ،فقد ملكت أجيالا كاملة من المفكرين والأدباء الفرنسيين ، بل لم ينج من سحرها حتى عباقرة عصر التنوير من أمثال : ديدرو ، وفولتير، وكريبيون، ومونتسكيو، وغيرهم، الذين أنصتوا للحكيمة شهرزاد باندهاش واقتبسوا منها كل ما يخدم أفكارهم الفلسفية، فقد تأثروا بها أيما تأثر واستلهموا منها الدروس والحكم وظلوا يحلمون بشرق البطل شهريار ويتوقون الى استكشاف أسراره وعجائبه،وانطلاقا من المعطيات قسمنا هذه الدراسة إلى مدخل وثلاث فصول فضلا عن المقدمة وقد وقفنا في المدخل عن ماهية ألف ليلة وليلة، أراء العرب والغرب لليالي، أما الفصل الأول في هذه الدراسة جاء بعنوان ألف ليلة وليلة في الآداب الغربية حيث تناولت في المبحث الأول : ألف ليلة وليلة في الأدب الانجليزي وتناولت في المبحث الثاني: ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي ، أما الفصل الثاني في هذه الدراسة جاء بعنوان ألف ليلة وليلة في الترجمات الغربية حيث تناولت في المبحث الأول : ألف ليلة وليلة في الترجمات الفرنسية ، وفيما يخص المبحث الثاني : ألف ليلة وليلة في الترجمات الألمانية

أما الفصل الثالث جاء بعنوان أثر ألف ليلة وليلة في السرد الفرنسي حيث تناولت في المبحث الأول : أثر ألف ليلة وليلة في روايات الفرنسي ديدرو، والذي شمل على عنصرين هما :

الأول :صورة شهرزاد في روايات ديدرو ،والثاني : صورة المرأة عند ديدرو.

وفيما يخص المبحث الثاني : أثر ألف ليلة وليلة في سرد وات فولتير واشتمل على أربعة عناصر وهم: الأول فولتير وألف ليلة وليلة ، والثاني الليالي في قصة زاديج أو القدر، ثم الثالث: عالم كانديد ، وأما الرابع : المقارنة بين كانديد وحكايات شهريار وشهرزاد.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الموضوعاتي الذي يتناول أثر بعض الموضوعات في الكتابات الغربية.

وتزودنا في دراسة بحثنا بمجموعة من المصادر والمراجع على رأسها الدكتور عبد الواحد شريفي وكتابه " ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية حتى القرن الثامن عشر " وكذلك الدكتورة ياسمين فيدوح في كتابها " إشكالية الترجمة في الأدب المقارن "

و الدكتور داوود سلوم وكتابه " الأدب المقارن في الدراسات الأدبية التطبيقية المقارنة "

إلى جانب بعض المراجع الأخرى.

وان كانت صعوبات لازمة لكل بحث علمي فهي كثيرة، فنحن _الطلبة_ عادة ما تصادفنا مشكلة صعوبة إيجاد المراجع أو قلتها، غير أنك ما إن حملت كتابا إلا وجدت حديثا عن الليالي والمشكلة لا تكمن هنا وإنما تكمن في تكرار هذه المعلومات عبر أغلب هذه الكتب وكأننا أخذناها من مصدر واحد.

ولا يخفى على أحد أن الباحث في بداية طريقه العلمي تزل له قدم، تتقدم أو تتأخر ولا يجد من يستند إليه سوى مرشده الأول والأخير، ألا وهو الأستاذ المشرف " حمودى محمد " فله كل الاحترام والتقدير وأسمي وأخلص معاني الشكر والى كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع .

المدخل

ماهية " ألف ليلة وليلة ":

"ألف ليلة و ليلة "كتاب أدبي شعبي، يتضمن حكايات خرافية وشعبية وقصص على لسان الحيوان وحكايات عن أسفار البحار و المغامرات و البطولة و أساطير ونوادر و أخبار.

"ألف ليلة وليلة "مجموعة قصص و حكايات مجهولة المؤلف ظلت حقبة طويلة من الزمن ،قبل أن تقيد بالكتابة تنتقل من جيل لأخر عن طريق الرواية الشفوية وهدا مصير كل الحكايات المروية في الآداب الشعبية العالمية ،تبقي عادة مجهولة المؤلف أو المؤلفين،ينسجها الخيال الشعبي وتتوارثها الأجيال .

"ألف ليلة وليلة "دائرة المعارف الشعبية،ومصدر تاريخي قيم ،ووثيقة ضرورية لدراسة المجتمع الإسلامي القديم تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته وتراءت من خلال ميوله ونزعاته وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته[1].

ألف ليلة وليلة مجموعة قصص أدبية، اشترك في نسجها أكثر من حاك وأكثر من راو، على مر زمن لا يمكن تحديده بدقة، انه كتاب احتل مكانة مرموقة في المكتبة العالمية وذلك لما يمتاز به من مضامين إنسانية وأجواء أسطورية[2].

[1] أحمد حسن الزيات، في أصول الأدب، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1935، ص 45

[2]شريفي عبد الواحد،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،الجزائر ،2001 ،ص 13

أراء العرب :

العمل الإبداعي جزء مهما من ثرات هذه الحضارة أو تلك فلأن هذا الإبداع على مر العصور وتنامي الفعل الحضاري يمثل إدراك الذات في كيانها وإبراز هويتها بما ترغب في تحقيقه ،ولعل هذا ما يظهر جليا إبان عصر ازدهار ثقافتنا العربية الإسلامية التي كانت على اطلاع واسع بثقافة الأخر وأنها تمكنت من القدرة والنضج ما جعلها تستجيب لثقافة الأخر دون التقليل من شأن إدراك موروث الذات لذلك دأبت الحضارة العربية الإسلامية في فهم الأخر، وجدت في احتواء الفعل الحضاري من ثقافة الأمم، خاصة ما كان يمثل الجانب الفكري والأدبي، وضمن هذا التأمل تبرز علاقة الشعوب بتراثها بخاصة الأسطوري والفلكلوري وكل ما يمت بصلة إلى الأدب الشعبي الذي يمثل معرفة الأمم بتقاليدها ومعتقداتها الحضارية تتناقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى أخر خاصة إذا كان يحكم المنقول من هذه الأمم المعيار السردي الشفوي الذي عرفته جميع الشعوب والحضارات بناء على استجابات معينة استدعتها حاجاتهم الاجتماعية[1] .

لقد كان للأدب ألعجائبي و الخوارقي أو ما يطلق عليه في الدراسات الغربية "بالفانتاستيك" عالمه السحري يدخل المتلقي في عالم الأكوان المتعددة والعيش في الماورائيات وللتراث العربي نصيب من هذا الجنس الذي يضرب بجذوره إلى أعمق حضارتنا كما كانت الأسطورة أولى تجليات الإنسان على الأرض وهي التي مهدت لتطوره ورقي إحساسه بالحياة ، فانبجس الفن وانبثقت الرؤيا معبرة عن تماس الكائن الكون عبر جسور اللغة[2] .

[1] حنا عبود ،القصيدة والجسد، اتحاد الكتاب العرب ، 1988 ، ص 222
[2] ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية ، دمشق، 2009 ، ص 166

وتراثنا العربي زاخر بفن ألعجائبي والخوارقي، ويعد مخزونا ثقافيا تستلهم منه قوته الفكرية، ونطلع فيه على تعدد مصادره مما يجعل هذا التراث مفتوحا على العديد من الأسئلة الكونية نظرا إلى دمجه الواقع بالخيال/والوارد بالمحتمل/والحقيقي بالغرائبي

إضافة إلى صيغ السرد في صنعتها اللغوية، في نقل المسرود من صورتها العجائبية إلى صورة لغوية سواء على مستوى الأشكال والتقنيات،أو على مستوى عمق الرؤيا من حيث المضامين والتأويلات[1] .

كما نجد طرحا مغايرا في موسوعة الفلكلور يتطلع إلى تصور مختلف لألف ليلة وليلة من حيث كونها تراثا فنيا أسهم العرب في إبداعه وترويجه "فألف ليلة وليلة " ذاتها ما هي سوى محصلة نهائية للحكايات العربية: في الجزيرة العربية ودلتا مصر، والشام والرافدين بالإضافة إلى أن معظم المستشرقين الذين تعرضوا بالنقل والترجمة لألف ليلة وليلة وغيرها قد استعانوا برواة الحكايات العربية ذاتهم وحفظة نصوصها، حتى غالان نفسه الذي كان يجمع حكايته من راوي سوري يدعي حنا الماروني وضمنها المخطوط الرابع المفتقد من نص الليالي الذي اعتمد عليه ويرجع تدوينه إلى القرن الرابع عشر الميلادي أي منذ خمسة قرون[2] .

[1] ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات للدراسات والنشر،سورية ،دمشق، 2009، ص171

[2]شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 21

و الواضح أن اختلاف الآراء العربية كان لاعتبارات بعضها أخلاقي أما معظمها فانه يميل إلي تثمين انتمائنا إلى هذا التراث ،بينما نبهت سهير القلماوي عوضا عن ذلك إلى ضرورة الاهتمام بموضوع الليالي نفسه فهي ترى أن "البحث عن أصل الليالي قد سقط سريعا إلى الناحية الفلكلورية المحضة والبحث عن تاريخ التطور قد قاد في قفزات عجيبة إلى الفروض والغموض ، كل هذا لأننا بدأنا نصعد السلم من أعلى درجاته، فالبحث في أصل الشئ وتاريخه خطوة لا بد أن تسبق بدرس الشئ نفسه، ودراسة الموضوع نفسه يجب أن تستأثر بأسبق الجهود وأوفرها[1] .

ورغم الاهتمام المتزايد من الغرب بألف ليلة وليلة ، إلا أن هذه الليالي لم تحظ في الدراسات العربية بالاهتمام الكافي كنص أدبي ،والى وقت قريب لم تدرج ضمن المناهج التعليمية والمؤسسات التربوية، الأمر الذي جعل هذا النص السردي بكل مقاييس السرديات يظل خارج النص المركزي ليبقى في ظل " النص الهامش " من منطلق المنظور الفقهي الذي أوحى بشكل أوبأخرإلى تغييب هذا النص بوصفه نصا مسليا ويفتقد إلى القيمة الأدبية ولا يرقي إلى مكانة " النص المركزي " وهو النص الأدبي المألوف في الثقافة العربية[2] .

[1] سهير القلماوي ، ألف ليلة وليلة ، دار المعارف ، 1976 ، ص 54
[2] ياسمين فيدوح ، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ، دار صفحات للدراسات و النشر ، سورية ، دمشق ، 2009 ، ص 179

أراء الغرب :

لقد كان الغرب على مر العصور يرى نفسه في الشرق بكل ما يملك من ارث حضاري كما أصبح مرآته الاقتصادية التي تعكس حاجاته الموجودة في صورة الشرق ، الأمر الذي شجع على الاستجابة للإقبال على خيرات المشرق الثقافية والاقتصادية ، وأصبح اهتمام الغربيين بالمجتمع الشرقي متزايد حتى بات يشكل ظاهرة متواصلة على مر الأزمنة لتلبية رغباتهم ، سواء عن طريق التأثير الايجابي أو عن طريق التأثير السلبي حين استخلاص الدروس من تراجع حضارة الشرق ومدى إفادتهم من أخطاء هذه الحضارة، رغبة في تفادي إمكانية إخفاقاتهم[1] .

وبفضل الفتح الإسلامي أصبحت أوروبا مركز للعلوم والفنون والصناعة واشتهرت بالتقديم في جميع فروع العلوم المختلفة ، فنها الغرب من مناهل الحضارة العربية وبدأت في عصر النهضة أكبر حركة فكرية للترجمة عند الغرب على غرار ما كانت عليه قرطبة وصقلية، فترجم الغرب أهم كتب العلوم والفنون التي أترث معارفهم ونهضت بها واعتبر الغرب الترجمة أحد أهم اهتماماتهم ومفاخرهم، وفي هذا الشأن يقول رانيلا

" لقد وصل إلينا الأدب الإغريقي من خلال الرومان، أي أنه وصل**E.L.RANELIAGH**

إلينا بالغة اللاتينية إلا أن الجانب الأكبر من المعارف الإغريقية التي تضمنت العلم والفلسفة وصلنا عن طريق البيزنطيين من خلال الترجمة العربية عن الإغريقية ،وقد نمى العرب هذه المعارف وانتقلت عنهم في العصور الوسطى إلى اللغة اللاتينية، لقد كانت اسبانيا وصقلية جسرين للمشروعات الضخمة في القرن الثاني عشر التي انتقلت عبرها المعارف العلمية من العرب إلى غرب أوروبا التي كانت آنذاك في مرحلة بدائية"[2]

[1] ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية ، دمشق، 2009، ص 180
[2] يوسف عز الدين، التناقد الأدبي بين العربية والانجليزية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع 95، 2002، ص 206و 207

لقد حفلت دراسات المستشرقين بما يؤيد صراحة الأصول العربية لألف ليلة وليلة ، غير أن ذلك لم يمنع البتة من بروز أراء مضادة لم تر في ذلك أي جانب من الصحة " بل وصل الأمر إلى حد الادعاء بأن قصص السند باد والأسفار والمخاطر دخيلة بكاملها على الآداب العربية من فلكلورية وتقليدية أو كلاسيكية متناسين بالطبع أقدم وأعرق قصص الأسفار والمخاط[1]ر. ورغم أنه ليس لهذا الموقف ما يبرره عدا كونه يحاول إنكار فن القصص على العرب بالإضافة إلى أنه لا يمثل إلا انطباعا ذاتيا فان هناك مواقف أخرى مغايرة تطلعت لأن تكون أكثر موضوعية من خلال ما تنشده من وقائع تستند إليها، فهذا ماكدونالد يؤكد منذ البداية، أن حكايات الليالي تنتمي إلى أصلين : الأصل الفارسي والأصل العربي، هذا إلى أنها تشتمل على تقاليد وأساطير شعبية لكثير من الأمم ويستنتج ماكدونالد بعد دراسته وتحليله مخطوطات الكتاب أن تأليف كتاب الليالي قد مر بمراحل أساسية هي : أولا: الأصل الفارسي (هزاز أفسانة) ثانيا: الترجمة العربية لهذا الأصل، ثالثا: نواة قصة هزاز أفسانة وما أضيف إليها من حكايات مقطوع بأنها عربية الأصل، رابعا: الليالي التي كتبت في عصر فاطمي متأخر والتي يشهد القرطبي شهرتها، خامسا: نص مخطوط أنطوان غالان مترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية في بداية القرن الثامن عشر[2].

رغم اختلاف أصول ألف ليلة وليلة حول انتمائها إلى العرب على نحو ما صدر من

الذي رأي أن ألف ليلة وليلة إن لم تكن فارسية فهي هندية، ثم يتفق hommer

والموقف نفسه الذي رآه ليتمان بإضفاء صيغة التأليف إلى Gildmeister و Schlegel

إلى الهند وبإضافات من الفرس والعرب على النص الأصلي، غير أن الذي لا جدال فيه هو أن نص ألف ليلة وليلة ثمرة من ثمار ثقافة الشرق التي دفعت بتأثيرها على الغرب بانجاز أحلامهم من خلال ما وفرته الليالي للفنانين الغربيين من غرائبية النسيج الخيال الذي بهر قرائهم وعزوفهم على ما سئموا منه من أعمالهم المكررة لذلك "حظي كتاب ألف ليلة وليلة

في الغرب بشعبية لم ينلها سوى كتاب شرقي واحد هو الكتاب المقدس.وفي انجلترا وحدها صدر الكتاب في أكثر من250شكلا خلال 250عاما[3]"

[1] شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص27

[2] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة ، الأصول والتطور، مجلة المعرفة، ص183

[3] عادل عبد الله، ألف ليلة وليلة وفن " البر لسك الانجليزي في القرن التاسع عشر" ، الموقف الأدبي ، دمشق، سورية، 1986، ص75

الفصل الأول

ألف ليلة وليلة في الآداب الغربية

ألف ليلة وليلة في الآداب الغربية:

أثارت ألف ليلة و ليلة في نفوس الغربيين شغفا بجمع الأدب الشعبي ودراسته علي نحو لم يكونوا قد بدؤوا يحسون بالحاجة إليه أو الحافز نحوه كما أثارت في نفوسهم التطلع إلي معرفة هذه الشعوب التي أنتجت هذا الأثر والتي دارت حوادث الكتاب حولها ،وقد كانت ألف ليلة وليلة في عدد الحوافز التي دفعت الغرب إلي زيادة اهتمامه بالشرق إضافة إلي النواحي الاستعمارية و التجارية و السياسية وكان لها تأثير ها في حركة الاستشراق وتوق الأدباء إلي زيارة البلاد الشرقية،ويمثل هذا المستشرق لين الذي زار الشرق ثم أقام في مصر . وتغلغلت الليالي في نفوس أدباء الغرب وأثرت في أدبهم وبدا ذلك في تأثرهم بالخيال و الشخصيات التي دارت حولها القصص وغدت ترجمة غالان جزءا من الأدب العالمي وأمدت الليالي الأدباء بعالم وافر من الشخصيات والحوادث كثير من مؤلفي قصص الأطفال بما في الكتاب من أدب سهل قريب المنال يتسم بالبساطة والسذاجة التي هي من أخص مميزات قرائهم الأطفال كقصة علاء الدين وقصة علي بابا وقصة السند باد فكتبوا في أدب الرحالات التي تتسم بالمغامرات كرحلات غولفر و الرحلات التي ألفها جول فرن و روبنسون كروزو واستمدت القصة الغربية من ألف ليلة وليلة آفاقا جديدة وميادين مبتكرة لحوادثها وعواطفها ،كما أصبحت صناعة المناظر المسرحية تعتمد اعتمادا قويا في إبراز الأدب المسرحي الشرقي علي الصورة التي أوحت بها الليالي، كذلك أثرت ألف ليلة وليلة فأدخلت موضوعات جديدة في أدب الغرب كقصص الحيوان والجن وأدخلت هذه الموضوعات في الفنون الأخرى كالرقص والرسم وغدت شخصية شهرزاد شخصية عالمية وقد تأثر بها غوته فراح يكتب عن الليلة الثانية بعد الألف وكذلك فعل ادغار آلان بو بأسلوبه الساخر[1].

[1] الموسوعة العربية ـ ألف ليلة وليلة ـ لمجموعة علماء

وقد أدى الإقبال على تأليف قصص عن الشرق مستوحاة من ألف ليلة وليلة إلي استلهام الكتاب الغربيين القصص الشرقية الأخرى التي ترجمت إلي لغاتهم بعد ترجمة ألف ليلة وليلة كذلك أوحت الليالي إلي الموسيقيين بأوبرات عالمية كأوبريت معروف الاسكافي وباليه شهرزاد التي ألفها ريمسكي كورساكوف وباليه ثورة الحريم .وقد طبعت الليالي أكثر من ثلاثين مرة في فرنسا وانجلترا في القرن الثامن عشر وحده ونشرت نحو ثلاثمائة مرة بلغات أوربا الغربية منذ ذلك الحين[1].

[1]مرجع نفسه

1/الأدب الانجليزي:

ظهر في القرن الثامن عشر ضرب من الأدب دو الروح الشرقي و قد اتخذ أشكالا مختلفة كالحكايات والأقاصيص و الرسائل الأدبية و كانت تهدف إلى جانب اخلاقى و كانت حكايات هذا الأدب ذات خيال مبالغ فيه إلا أنها مشبعة بالنقد رغم أن أحداثها في الغالب كانت مفككة و غير محبوكة. وكان ظهور هدا الأدب مقرونا بظهور ألف ليلة و ليلة في الأدب الأوربي عام 1704م وعام 1712م وبزيادة الاهتمام بالأقطار الشرقية، وكانت هذه الفترة قد انتهت عام 1786 في السنة التي طبع بها كتاب**Vachtec** أخر الروايات الشرقية[1].

وبعد ذلك حدث تبدل أخر في التأثر بالشرق وعلى خطوط أكثر وضوحا و دقة بينما كان التأثر في القرن الثامن عشر مبنيا على تأثر لعب فيه الخيال كثيرا.فمن الممكن في القرن التاسع عشر أن نميز بين تيارين واضحين في التأثير الشرقي في الأدب الانكليزي.

فالأول:قيام أحداث تاريخية وقعت في نفس القرن.

والثاني:هو وجود عدد من الكتاب و الأعمال الأدبية التي تركت أثرا كبيرا جدا علي الذين جاؤا بعد ذلك ووجهت الاهتمام بشكل أعمق إلي الشرق وأدبه[2].

[1]داود سلوم ،الأدب المقارن في الدراسات الأدبية المقارنة التطبيقية،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة، مصر ، 1424ه ،2003م ، ص153

[2] سهير القلماوي ، ألف ليلة وليلة ، دار المعارف ، مصر ، 1976 ، ص 36

وأن هذين التيارين خلقا ميلا ميز ذلك العصر:

وهو الاهتمام بكل ما هو شرقي وكان نتيجة ذلك قيام عدد من الرحلات إلي الشرق وكنتيجة حتمية لهذا فان الناس قد أصبحوا أكثر معرفة بخصائص المناطق زاروها،وأن هذه الأمور المختلفة مجتمعة أثرت في الأدب الانجليزي في تلك الفترة تأثيرا كبيرا وفي الوقت الذي كان فيه الأدب الانجليزي تحت تأثير الرومانسية حيث كانت الرومانتيكية تدفع الشعراء الانجليز إلي طريق بعيد عن الطريق العام ومختلفة عن الطريق التي كان يتبعها الأدب في القرن الثامن عشر[1].

وقد عدت ألف ليلة وليلة من النصوص ذات التأثير البالغ على الذوق الانجليزي ،وأصبحت أجواؤها السردية الغرائبية تملأ أجواء أحلام القراء ،لما فيها من الحكايات الخرافية المشوقة الأمر الذي أثار ولع هؤلاء القراء وشحذ فضولهم بالرغبة في المزيد من الاطلاع على مثل هذا المنجز الخرافي الذي لم يعهد وه ، فكان من شأن ذلك أن شد القارئ الانجليزي اهتمامه بهذا النص الذي ضمن تميزه من بقية النصوص التي جنحت إلي العقل أكثر من ميلها إلي التصورات الخيالية، ولم يكن القراء الانجليز على دراية كاملة بهذا النوع منأدب الخوارق قبل أن يتسلل إليهم عبر فرنسا من خلال أنطوان غالان ،وهو ما استنتجته "مارثيا بايك كونانت "في دراستها عن الحكاية الشرقية تقول : "إن مجرد مجيء الليالي عبر فرنسا ضمن لها هذه الشهرة ،إذ كان الفرنسيون أصحاب تأثير كبير على الأدب الانجليزي في تلك الأثناء[2]"

[1]سهير القلماوي ،ألف ليلة وليلة ،دار المعارف ،مصر،1976،ص36

[2]ياسمين فيدوح ، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ، دار صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سورية ، 2009 ، ص 240

كما أن الرغبة الهروبية لتجاوز القواعد المحددة (الكلاسيكية الجديدة) قد حققت نفسها في مطالعة هذه الحكايات العجيبة الغريبة عن المخاطر والسحر[1].

ولقد استطاع الكتاب والفنانون الانجليز أن يفيدوا من ألف ليلة وليلة التي سكنت قلوبهم وهو الموقف الذي يشبه تعامل الفرنسيين والألمان في تلقي سحر هذا النص الخوارقي ،فنسج من هؤلاء الكتاب و الفنانين على منوال ألف ليلة وليلة، سواء عن طريق الاقتباس الحرفي، أو عن الاستلهام وكانت الليالي منهجا لهم في نتاجهم ولعل افتتانهم بها شجع المستشرقين على التنقيب في ثقافة الشرق عن مثل هذا النص ألعجائبي، بدءا من اطلاعهم على ترجمة غالان وعلى الترجمة الانجليزية الغفل أي:من المجهول عرفت ما يعني باسم **Grub street** غالان كانت متداولة في المدة نفسها [2].

لقد كان إقبال الانجليز على نهم ألف ليلة وليلة وإفراطهم في قراءتها ،نابعا من بلوغ الهمة والمكانة التي وصلت إليها ولعله النص أكثر اتباثا لهوية الشرق في نظر الغرب لما تفرد به من خصوصيات عززت تصديره إلي الغرب ليقوم بآخر دور يبجل الحضارة الشرقية في براثن الحضارة الغربية التي كانت بحاجة إلى قالب ذهني آخر يباري تصوره النمطي القائم على ضوابط الثبات واحترام القيم ،والتعاليم والأعراف الاجتماعية السائدة[3] .

---

[1]ياسمين فيدوح،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر،سورية ،دمشق،2009م،ص 241

[2]محمد جاسم الموسوي ،ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي ،الواقع في دائرة السحر،د ط ،ص19

[3]عادل عبد الله ،ألف ليلة وليلة وفن البر لسك الانجليزي في القرن التاسع عشر ،مجلة الموقف الأدبي ،ص121

حيث كان كتاب ألف ليلة وليلة خطوة حاسمة في نمط الكتابة لدى الانجليز ،وتحولا جذريا في مسار السرد الخيالي لم يحظ بها سوى الكتاب المقدس،وتروي جل الدراسات المتخصصة في هذا الشأن اهتمام الانجليز بالليالي وكيف أن كبار الكتاب أولعوا بسحرها ايلاعا شديدا، وقد وصفها ووردزورث(**Wordsworth**) بكنز طفولته وجعلت كولردج(**Coleridge**)يقر بعالم اتساع خياله بفعل قراءة هذا النص الطافح بالمتعة والذي شكل مصدر مهما لرصيده الثقافي ،وقد قال ذات مرة :"أعطني ليالي التسلية العربية والتي كنت أرقبها حتى تبلغها الشمس التي كانت تشع على خزانة الكتب وعندما تسطع عليها كاملة كانت تعطيني الشجاعة لكي أسحبها من الرف[1] "

لقد نقلت الدراسات الحديثة آراء كثيرة حول مدى تأثير ألف ليلة وليلة في القصص الغربي بوجه عام وأصبح هذا النص نموذجا لأشكال مختلفة من الدراسات المقارنة لتقريب الشعوب والكتابة القصصية كالحكاية الخرافية والشعبية والأسطورية والسيرة الشعبية، والنوادر، وان أكثر ما اجتذب الغرب في الليالي هو موضوعها الغر ائبي السحري ،الأمر الذي شجع الغرب على إعادة النظر في كتابة قصصهم ،وقد اعترف كثير من الكتاب بفضل ألف ليلة وليلة التي تجلت في أعمالهم الفنية[2].

[1]ياسمين فيدوح،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر،سورية،دمشق،2009م،ص244

[2]محمد الدعمي،الاستشراق ،الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط2006،1،ص96

واعترف المستشرق الانجليزي (جب) بأن أوربا قد تأثرت أواخر القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة بالمأثورات الشعبية العربية ،وهي التي منحتها السمات القومية في الأدب وأن القصة الايطالية في عصر النهضة إنما هي وليدة القصص الشعبي العربي ،في السرد و الوصف و التصوير،ولم يكن التأثير في الكتابة القصصية ليحدث لولا احتكاك الغرب بالحضارة العربية الإسلامية وبمعزل عن المؤثرات الأخرى من معين هذه الحضارة[1].

كل ذلك كان بفضل الترجمة التي قربت بين الثقافات لذلك وجد الانجليز في قصة ألف ليلة وليلة كنزا ثمينا غير نمط تفكيرهم وغذي أسلوبهم السردي وفتح ذوقهم من خلال اطلاعهم علي قصص علاء الدين وعلي بابا وقصة شهريار مع شهرزاد كما أضاف إلي معارفهم أسماء من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية مثل هارون الرشيد و الخليفة المأمون و الاسكندر الأكبر و عناوين لحكايات خيالية ،كالبساط السحري و الحصان الطائر أكبر دليل علي تأثير الليالي في رومانسية الإمبراطورية الانجليزية وخلقت دفعا جديدا للكتابة القصصية حيث أعطي هذا الدفع مسارا جديدا للتفكير الخيالي وهو الأمر الذي دفعهم إلي إعادة ترجمتها بلهجات دارجة حتى يتسنى للقارئ البسيط قراءتها بخاصة أولئك الذين يقدمون علي السفر الطويل في القطارات ،حيث قدمت لهم دور النشر طبعات أنيقة في مستوي تناولهم لها وظهرت نسخ كثيرة في هذا السياق بين عام 1829 و1869 وهو أكبر دليل علي ذيوع ألف ليلة وليلة بين الانجليز الأكثر إقبالا علي قراءتها من باقي دول الغرب[2].

---

[1]ياسمين فيدوح،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر،سورية،دمشق،2009م،ص246

[2]رانيلا،الماضي المشترك بين العرب والغرب ،ترجمة نبيلة إبراهيم،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،ط1، 1999 ، ص258

وفي المحصلة يرى محمد جاسم الموسوي المتقصي بجدية تامة موضوع ألف ليلة وليلة في الأدب الانجليزي أنها حظيت بشغف واهتمام الانجليز أكثر من أي عمل فني آخر، وأنهم أقدموا على هذا المخزون الثري ينهلون منه حوادث وتفاصيل ومشاهد بقصد تطمين الطلب الشعبي المتزايد ،وفي الواقع كانت التايمز اللندنية 1825 قد وصفت ألف ليلة وليلة بأنها عمل يدين ميلودرامينا كثيرا[1] .

كتبت مجلة**Monthly review**عام 1799م قائلة:" إن الاهتمام والتطلع اللذين تثيرهما الليالي العربية بقوة والأوصاف الثرية التي تقضي بها والتعبير الدقيق عن الطباع الشرقية أو طباع المسلمين التي تعرض لها الحكايات ستبقي جميعا مثار اهتمامنا بكثير من ذلك الذي نوليه في العادة إلى الحوادث المسرفة في السرد الخرافي "

كما استعرض (لي هانت) **lihant**في مجلته المرموقة **London Westminster** عام 1839 ست طبعات جديدة من الحكايات ولم يتورع عن الاستنتاج بأن الليالي "هي أكثر الكتب رواجا في العالم "

ولعل ذلك يعد رصيدا معززا لنجاح هذا النص الذي عكس مرآة ذوق القارئ الانجليزي محدثا بذلك زعزعة واستفزاز للنمطية السائدة في الأدب الكلاسيكي وهو ما جعل الكثيرين من الكتاب والفنانين والصحفيين يقرون بهذا التغيير الجذري في تركيبة الذوق الانجليزي[2].

[1] ياسمين فيدوح ،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ،دار الصفحات للدراسات والنشر ،سورية ،دمشق ،2009 ، ص248

[2] محمد جاسم الموسوي ،ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي ،الواقع في دائرة السحر ،د ط ،ص 19

2/الأدب الفرنسي:

مما لاشك فيه أن تزلزل التركيب الاجتماعي السياسي يؤدي في أغلب الأحيان الى تزلزل التركيب الفني و الأدبي وليس من قبيل المصادفة أن يظهر الاستبداد في الأشكال والأساليب الأدبية وقت ظهور المطلق في السياسة و الحكم .ولا أن يقوم الاستقرار الاجتماعي و التصلب في التراكيب الاجتماعية إبان الاستقرار الأدبي و التصلب في التراكيب الأدبية ،فهناك ارتباط بين السياسة و المجتمع من جهة و الاتجاه الأدبي والأساليب الأدبية من جهة ثانية[1].

وفي أوائل القرن الثامن عشر،أصبحت بوادر التحول على الأدب الفرنسي جلية لا يخطئها النظر،على الرغم من بقاء أثار العصر الكلاسيكي واضحة.فلقد اشتد الصراع بين المجددين و المقلدين وبدت ظاهرة من ظواهر الفكر لا نظير لها،إذ ما كان يعيش في الظلام ،أخد يحيا في وضح النهار وما كان موضع نظر بضعة عقول غزا الجماهير.

وبوجه عام،تقهقرت سلطة الأقدمين في النصف الأول من القرن الثامن عشر وأصبحت الكلاسيكية "لا تنتج سوى ثمار لا طعم لها "وظهر اتجاه يدافع عن العبقرية و حريتها في التصرف بقواعد الذوق و من جهة أخرى ،نما جمهور القراء الذي يفضل الخارق واللامألوف:"كانوا يريدون أن يؤلفوا خرافات كما فعل لافونتين ...و كانوا يريدون أن ينشئوا الحوار بين الموتى[2]"

[1]شريفي عبد الواحد،ألف ليلة و ليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،الجزائر،2001 ،ص72

[2]مرجع نفسه، ص77

وفي خضم هده التحولات السياسية و الاجتماعية و الأدبية،ترجم المستشرق الفرنسي أنطوان غالان "ألف ليلة و ليلة" ترجمة أنيقة راجت في كل أنحاء فرنسا :لقد دخلت إلى الأدب الفرنسي "ترفل بحيوية و بهرجة مشاهدها،عارضة البهيج و القبيح،العقلاني

و الخيالي، الغبي و العلمي، الغريب و الغامض "

وليس غريبا أن تحوز "الليالي"على إعجاب الجمهور، وأن تنال هدا النجاح الكبير.فظهورها جاء مواكبا لتحول في الدوق الأدبي الفرنسي و منسجما مع موجة الحكايات و القصص الجديدة التي كان يعدها كتاب محنكون من أمثال بيرد و بريشاك

و الآنسة دوبرنار و السيدة ميرا ، وغيرهم[1] .

وآدا ما روعيت الظروف التي كانت تمر بها الآداب الفرنسية،فان الباحث لا يشك أن "الليالي"قد أسهمت بقسط وافر في تحويل هدا الذوق الأدبي الفرنسي ألذي كان يبحث عن مصادر يقتات منها .فلقد وجد الكتاب و القراء على حد سواء ضالتهم المنشودة في حكايات شهرزاد،لكونها أتاحت لهم الهروب إلى مناطق بعيدة تسيطر عليها أجواء أسطورية سحرية لم يألفوها من قبل.

من الطبيعي ،أن تصمد "الليالي"أمام روح العصر ،و أن تصبح العمل المفضل لدى مفكري العصر.فهي غنية بموضوعاتها الفكرية،و غزيرة بمادتها الروائية ورائعة بصورها الفنية،فضلا عن أنها ترمي إلى غايات أخلاقية و تربوي[2]

[1]محسن جاسم الموسوي،مقدمة لدراسة الإسهامات العربية في رفد الرواية العالمية ،مجلة أقلام ،ع1978؟1 ،ص16

[2] شريفي عبد الواحد ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص78

ومن الطبيعي،أيضا،أن تستهوي "الليالي" القارئ الفرنسي الذي كان تائها،متعطشا للجديد شغوفا بأحلام الطفولة فكل شئ فيها كان مغريا و جذابا ،ومتحضرا يتيح الهروب إلى عالم متحرر بهيج و غريب .تقول كاترينا مومسن :

"إن الإنسانية المتميزة التي يحفل بها عالم البشر في ألف ليلة و ليلة، لا بد أن تكون قد فتنت الأوروبي في القرن الثامن عشر...عالم ألف ليلة و ليلة متمدن إلى أقصى درجات التمدن، عالم له تقاليده الراقية في التعامل وهي تقاليد لا تقدر على تطويرها سوى الحقب التي تحتل فيها الثقافة والحضارة أكرم منزلة[1]."

ولقد وجد الفرنسيون في ألف ليلة وليلة توجها جديدا في نظرة الإنسان إلى الكون، وعلاقته بالوجود ، فمغامرات السند باد وقصة علي بابا وحكايات الملوك والبسطاء وغيرها ،إنما تنم عن جدل الوعي والجنون في مفارقة فنية تحيكها أحلام الإنسان ومخيباته وتكشف في الآن نفسه عن تخطي الحرمان وكسر جدار الصمت، فسلطة الكلام التي فرضتها شهرزاد لم تكن تعبيرا مجانيا لكسر الوقت ،بقدر ما كانت سلاحا فطريا لاحتواء الزمن، وبذلك كون الفرنسيون فكرة المغايرة عن الإبداع والفن وبدأ التمسك بالأشكال النمطية يتلاشى ليحل محله سهولة التعبير عن الذات ومن ثمة سهولة التواصل مع الأخر[2].

[1]شريفي عبد الواحد،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ،الجزائر ، ص79

[2] ياسمين فيدوح ،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر ،سورية ،دمشق ،2009،ص205

وبذلك أصبح أدباء فرنسا كمن يتحسس خطاه في دروب مختلفة تزداد خصوبة ونضارة،وبدا الشرق اكتشافا رائعا تجلى في شجون الشعراء وخيال الأدباء "ولا شك أن اهتمام عدد كبير من الكتاب الرومانسيين في القرن التاسع عشر أمثال ("شاتو بريان "و"لامارتين "و"جيرا ردي نير فال")الذين زاروا الشرق و"ألفريد دي فيني"وفيكتور هيجو"وغيرهم فتح أفاقا جديدة أمام الأدب الفرنسي تجلت بشكل أخص في الشعر والرواية[1]"

ولقد تمكن الأدب الفرنسي من تفجير الرموز الشرقية، غير أن ضيقهم بالتقاليد الكلاسيكية جعلهم يبالغون في فضح الواقعية الغربية، فتسربت تلك المبالغة إلى الواقع الشرقي مما لم ينصف الثقافة الشرقية ،بل ربما أسيئ فهمها لدى بعض مستقبليها ومع ذلك كله "فان ألف ليلة وليلة التي غزت المسرح الفرنسي قد اعتمدت رغم اختلاف موضوعاتها على قاسم مشترك أعظم هو تصوير الجو الشرقي والبيئة الشرقية بشكل لم يخل من المبالغة وظلت تعتمد على المبالغة في وصف البذخ الشرقي و الأحاسيس والمشاعر البدائية[2] "ولقد أفرز التشبث بحكمة الشرق أسلوبا جديدا في الكتابة ،انعكست آثاره في تحرير اللغة وتكريس مبدأ الإيحاء وتداعي الرموز،وانبعثت في أفق التفاعل بين الحضارتين شرق وغرب روح إبداعية غير معهودة استسلم لها الوسط الأدبي المتأثر وانساق وراءها متطلعا إلي إيجاد بديل غير مألوف يخلص القارئ الفرنسي من المكرر والمتداول وهكذا ترى أن الشرق في الأدب الغربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر مر في مراحل ثلاث :مرحلة الفضول ،مرحلة الحلم بامكانية بناء أشكال جديدة عن طريق الشرق ، ومرحلة اعتبار الشرق كإطار لعرض الأفكار الجديدة[3].

[1]جمال شحيد،ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية،مجلة المعرفة،ع192/191، 1978،ص259

[2]هيام أبو الحسن، ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي، مجلة الفصول، ع3، مجلد3، 1983، ص177

[3] ياسمين فيدوح،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر،سورية،دمشق،2009،ص 208

ولم يكن تأثير ألف ليلة وليلة على الأدب الفرنسي شكليا فقط بل تعدى إلي المضامين بحيث كان حضور ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي طاغيا واتسع ليتغلغل في أدق المكونات الأدبية فظهرت الأساليب الفرنسية متداعية بلغة مستوحاة من الحس العاطفي للمبدع ومن تعامله الطبيعي مع الأشياء المنبثقة من وجدانه دون مغالاة وتخلص من التعالي الكلاسيكي وراح يستلهم قصص الشرق ورومانسيته الحالمة فقد ألهبت هذه القصص خيال الفرنسيين ،لقد أحدث التأثير تغيرا بالشكل والمضمون والنظرة العامة للأدب الفرنسي في السرد والشعر،وقد توجهت مرحلة من العطاء الفكري والفني الذي جعل الأدباء الفرنسيين يتوحدون مع هذا التراث فأحبوه واختلط بكتاباتهم[1].

ولا ريب أن الرواية هي على حد تعبير النقاد الانتقال من البراءة إلى التجربة ،فان ألف ليلة وليلة قد أتاحت للغربيين معايشة البراءة البدئية واكتساب ملامحها الفطرية،وليس مصادفة أن تنبثق عن هذا التراث القصصي الملحمي أعتى التيارات الأدبية ويتعلق الأمر بالرومانسية التي تعمقت من نبع الليالي وتزامنت مع بداية التفاعل مع الشرق ،وكانت ألف ليلة وليلة عبر كامل مراحل ترجمتها تجربة للتشرب المعرفي والاستمتاع ،والاستلهام[2].

"ومن المؤكد أن ألف ليلة وليلة فتحت حدود الشرق لهذا الأدب الفرنسي المتعطش آنذاك إلى التجدد والانفتاح[3]"

[1]ياسمين فيدوح ،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ،صحيفة الكترونية،ع 10615

[2]ياسمين فيدوح،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر،سورية،دمشق،2009، ص209

[3]جمال شحيد،ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية ،مجلة المعرفة ، 192/191،ص 259

الفصل الثاني

ألف ليلة وليلة في الترجمات الغربية

1/الترجمة الفرنسية:

إن أول من نبه الغرب على وجود الكتاب هم المستشرقون الدين قاموا بترجمته ،ثم انكبوا على دراسته وأول ما لفت نظر وهو أستاذ فرنسي تخصص في العلوم الشرقية وهو أنطوان غالان (1751/1646)"إن القارئ الأوروبي،في القرن الثامن عشر،مدين في معرفته ب "الليالي"الذي قام لأول مرة في تاريخ أوربا الأدبي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية مابين 1704 و 1717 في اثني عشر مجلد[1].

والواقع،أن هدا المستشرق لم يكن يتوقع قبل نشر ترجمته أن الجان الشرقية التي علمها كيفية التحدث بلغة باريس ،ستخلد اسمه في تاريخ الأدب الفرنسي ،إذ أن ترجمته قد نالت نجاحا سريعا و باهرا ،راجت في كل أنحاء فرنسا ،و طبعت عشرات المرات خلال عصر التنوير الفرنسي ،بل ظلت مدى قرن كامل الترجمة الوحيدة التي عرف بها العالم الغربي ليالي شهرزاد .

كان نجاح الترجمة فوريا و باهرا، تلقاها القارئ الفرنسي بحفاوة،و لاشك أن نجاحا كاسحا من هدا الطراز لا يمكن تفسيره ،إلا بسببين :

أولهما أن غالان نفسه كان قصاصا موهوبا ،وأدبيا فدا بصيرا بفن القصة ،استطاع أن يقدم لقرائه أجود ما تضمنته الليالي من حكايات بأسلوب قصصي بارع ،يتسم بالوضوح و الرشاقة ،ولغة ناصعة يتداولها القارئ و كأنه أمام نص كتب بالفرنسية أصلا ،ولم يترجم إليها دلك أن الأعمال المترجمة تظل بعيدة عن الجمهور المتلقي ،ما لم يمتلك المترجم الكفاية العلمية و الفهم الواعي لنفسيات قرائه[2].

[1]عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر،2001،ص53

[2] مرجع نفسه ،ص54

و السبب الثاني ،هو ظهورها في الوقت المناسب ،إذ سئم القراء في أوائل هدا القرن من الأدب الكلاسيكي الذي جمدته قوالب فنية لا تقبل التطور ،وراحوا يبحثون عن أدب جديد يتيح لهم سبيل الهروب إلى عوالم جديدة و أفاق مجهولة ،وقد وجدوا في الليالي ضالتهم المنشودة لما تمتاز به من غنى لا حدود له بالمواد و الأفكار و الشخصيات وجو أسطوري فاتن و مناخ شرقي باهر[1].

ترجم غالان الليالي بتصرف ولكن باعتدال و مهارة ،فلم يتردد مثلا .في اختصار ما رآه استطرادا مملا لإدراكه أن الحكايات يكثر فيها التكرار و إن وصف الأشخاص و الأماكن يكاد يكون متشابها إلى حد بعيد ،ولا شك إن هدف المترجم كان قبل كل شئ تقريب النص العربي إلى الذهنية و الدوق الفرنسيين.شرع غالان في ترجمة المخطوط العربي ،ونشر ترجمته في ثمانية مجلدات مابين 1704و1709 مضيفا إليها حكايات السند باد البحري و قد أهدى هذه الترجمة إلي المركيزة دو ،ومما قاله في الإهداء:

"مدفوعا بالثقة بك سيدتي أتجرأ و أطلب منك لهدا الكتاب الرعاية نفسها التي أحطت بها ترجمتي لحكايات السند باد...لقد أدركت يا سيدتي أنها جزء من هدا الكتاب الرائع الذي يسمى "ألف ليلة و ليلة"[2]

[1] عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران ،الجزائر،2001،ص54

[2]مرجع نفسه ،ص55

وبعد ظهور مجلداته الأولي ،انقطع غالان عن الترجمة لعدم حصوله على مادة جديدة يكمل بها عمله .وبقى على هده الحالة إلى أن التقى بماروني من حلب كان قد جاء به إلى باريس الرحالة الفرنسي ببير ليكا (1737/1664) فوجد فيه ضالته المنشودة ،لأنه كان قصاصا ماهرا يحفظ عن ظهر قلب حكايات كثيرة من ألف ليلة و ليلة وله القدرة الكاملة على روايتها[1] .

إن ترجمة حرفية للحكايات في هدا العصر، لم تكن لتظفر بأي نجاح في أوربا، لهيمنة العقلانية و الذوق الكلاسيكي اللذين يملان التكرار ولا ينسجمان مع سرد التفاصيل الجزئية ويفضلان أن تسيطر الحقيقة في كل شئ حتى في الخرافات ولأن غالان كان يدرك كل ذلك آثر الإيجاز والدقة وتنقيح الترجمة من التكرار الممل وبعض التفاصيل الطويلة وكذلك إهمال بعض النصوص الشعرية الواردة في الحكايات باعتبارها تزويقات عقيمة مقحمة في النص وهزيلة في بعض الحالات ويكفيه أنه بذل جهدا لتقريب الحكاية العربية بروحها ومضمونها إلى ذهنية القارئ الفرنسي وأنه عني بإضافة ملاحظات وشروح وجيزة في الحواشي وذلك لتفسير العادات والتقاليد الشرقية[2].

---

[1] عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص56

[2] محمد غنيمي هلال ،الرومانتيكية ،دار العودة،بيروت ،لبنان ،1973 ،ص 17و18

ولقد حققت ترجمة ألف ليلة وليلة لأنطوان غالان شهرة ما كان ليحلم بها ، وارتبط اسمه بالزمن الشرقي متمثلا في ليالي شهرزاد .والجدير بالذكر انه ما كان ليتسنى له دلك لولا استفادته من حضوره في الشرق واتصاله المباشر بسكانه ومعايشته الحقيقة لواقعهم ،فقد "كان مبعوثا فرنسيا ملحقا بالبعثة الدبلوماسية في القسطنطينية ،وتعكس المذكرات اليومية التي كان يسجلها حينذاك انبهاره بالمخطوطات الشرقية وسعيه الدؤوب عليها ،ويبدو انه كان يتحلى باهتمام البحاثة حين يتمعن في النصوص القديمة كما كان بالغ البراعة في التقاطها [1] "

لقد قدم غالان لقرائه ترجمة"أنيقة الأسلوب ،رائعة السبك ،تتسم بالوضوح والبساطة والرشاقة فالأحداث الصور " رسمت بيد شاعر و بكل ثقة و ثبات " و الأجواء الشرقية قربت إلى القارئ الفرنسي في ديباجة مشرقة .إنها ترجمة متقنة و أصيلة أكثر من كونها ترجمة بالمعنى الضيق للكلمة ،ترجمة رائدة تضمنت أعظم وأهم القصص المعروفة في نسخ الكتاب الأصلي،ولها اليد الطولي في التعريف بالليالي و التنويه باسمها والدلالة على فضله [2].

[1] رنا قباني ،أساطير أوربا عن الشرق ،ترجمة صباح قباني ،دار طلاس ،ط1988،1،ص49

[2] شريفي عبد الواحد ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص60

2/الترجمة الألمانية:

قام كل من أخيم فون أرنيم وكليمنس وبرينتانو الأخوين جريم بجمع الحكايات وتصنيفها في مجموعات مستقلة .فلقد نشر الأخوان جريم (يعقوب وفلهلم)سنة 1812 مجموعة من القصص الشعبي تسمى "حكايات الأطفال و البيت " واعتمدا في عملية الجمع على مصادر شفوية شعبية ،ولقد اعترفا في تعليقهما على هده المجموعة أنهما استمدا من"ألف ليلة وليلة" أصول ثمان من هده الحكايات هي الصياد وزوجته الماكر وسيده ،ستة يذرعون الدنيا ،جبل الذهب ،الطيور الثلاثة ،عين الحياة ،الروح في الزجاجة، حبل[1] .

وفي ألمانيا نشر نوفاليس مجموعة "البصيلة و الدم الوردي "في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، كما اهتم الأديب غوته بجمع الحكايات وكان "يستمع إلى أمه، وهي تحكي له كثيرا من الحكايات الخرافية مثل حكاية" الحائك الذي تزوج بالأميرة "و حكاية "حدائق الجان " وحكاية جبل المغناطيس "

والجدير بالملاحظة أن الأوروبيونلم يعتنوا بجمع الحكايات و تصنيفها فحسب، وإنما اهتموا كذلك بدراستها دراسة علمية، وحاولوا عن طريق المقارنات والموازنات أن يحددوا مواطنها الأصلية وكيفية هجرتها من منطقة إلى أخرى[2].

---

[1]عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص81 و82

[2] شريفي عبد الواحد ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،الجزائر ،2001،ص87 و88

يمكن القول ، اذن ،إن اعتناء الأوروبيين بجمع آدابهم الشعبية بعد ترجمة الليالي فاق كل التصور لإدراكهم مدى أهمية هده الآداب في حياة الشعوب ،فلم تبق دولة أوروبية لم تعن بجمع حكاياتها من أفواه العجائز والريفيين وتصنيفها في مجموعات .وإذا كانت هده الحكايات قد تمتعت بكل هدا الاحترام "فان الفضل يعود بالدرجة الأولي إلي تلك الميزات التي امتازت بها مضامين "ألف ليلة وليلة " ، ومثل هدا الأدب الشعبي يجب أن يتحول إلي مدرسة للحكمة، لأنه يستطيع أن يقدم الثقافة و المرح والفلسفة[1].

أما ليتمان مترجم "الليالي "ألي الألمانية1921و1928 فقد وضع مقدمة لترجمته تعد من أهم الدراسات التي تناولت مسألة الأصول ويمكن تلخيص أهم ماجاء فيها في النقاط التالية:

يقر ليتمان أن ألف ليلة وليلة كانت شائعة في مصر حوالي منتصف القرن الثاني عشر، وان الرواة أضافوا إليها بعد هذا التاريخ حكايات جديدة

يقسم ليتمان الليالي إلي قسمين:

الأول بغدادي:تدخل في دائرته كل الحكايات الهندية والفارسية التي ترجمت إلي العربية أيلم بني عباس وما أضيف إليها في بغداد.

والثاني مصري:وضع في مصر وسوريا أيام المماليك والأتراك وهو يتمثل في قصص اللصوص وقصص السحر التي يسيطر فيها الإنسان على الجن عن طريق التعاويذ[2].

[1] كاترينا مومسن ،غوته ،ألف ليلة وليلة ،ترجمة أحمد حمو ،مطبوعات وزارة التعليم العالي ،دمشق ،سورية ،ط1، 1980 ، ص14

[2]شريفي عبد الواحد ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر ،2001 ، ص 22 و 23

الفصل الثالث

أثر ألف ليلة وليلة في السرد الفرنسي

1/ أثر ألف ليلة وليلة في الروايات الفرنسية لديدرو:

دينس ديدرو (**Diderot**) أديب ومفكر ورائد من الرواد الفرنسيين الذين استهدفوا إصلاح المجتمع عن طريق التنوير. وزع عبقريته على عدة نشاطات فكرية وأدبية، ولم يترك موضوعا إلا وله فيه آراء سديدة، اهتم بالفلسفة والاجتماع والسياسة وكتب المسرحية والمقالة والحكاية[1].

ونذكر من رواياته التي ترجمت إلي عدة لغات وأحدثت أثرها في الأوساط الأدبية والفكرية: الجواهر المفشية 1748 ابن العم رامو1762

الراهبة 1760 جاك القدري 1778

لقد قرأ ديدرو ترجمة غالان لليالي العربية وتأثر بأجوائها الساخرة ، الأمر الذي ساعده على كتابة قصص وروايات تجري طريقة السرد فيها على نمط "ألف ليلة وليلة " أبطالها شرقيون ووقائعها تدور في منطقة شرقية مفتوحة تضم مناطق عديدة ،وتمتد من الصين إلى أدغال إفريقيا،ويبدو أن الرواية التي يتجلي فيها تأثره ب "الليالي " بشكل واضح هي أن تكون نسخة عن ألف ليلة وليلة وهذه**les bijoux indiscrets**"الجواهر المفشية " الرواية يسودها عنصر السحر و العجائب تعكس بصدق فلسفة صاحبها و نظرته إلي الحياة أن هدفه هو كتابة رواية شرقية تكون متممة لحكايات شهرزاد ومعبرة عن الواقع الفرنسي في عصر التنوير،رواية يحلل فيها الأخلاق المتدهورة و التقاليد البالية ويستعرض أهم المعلومات الشائعة في عصره عن الشرق في شتي المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية[2]

[1]عبد الواحد شريفي،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر ، 2001 ، ص 151 و 152

[2] مرجع نفسه ،ص 153 و154

كما اهتم ديدرو بالثقافة العربية الإسلامية أمر أكيد ،لا يمكن إنكاره :فهو صاحب الموسوعة التي جمع فيها كل أنواع المعارف البشرية فجاءت كنزا زاخرا بكل صنوف العلم والمعرفة التي وصل إليها العقل الإنساني ،ولقد خصص فيها مجالا واسعا للثقافة العربية الإسلامية وللإسلام ،وغني عن القول إن هذا المفكر اعترف أكثر من مرة باهتمامه بالحضارة العربية الإسلامية ،فلقد جاء في رسالة وجهها إلى سوفي فولا ند **Sophie Volland**: "أنه معجبا بمعارف المسلمين، وأنه اطلع على القرآن الكريم واستوعب مغزاه وأبعاده ،وأنه معجب بمحمد (ص) النبي العظيم"[1] .

لقد ألهمت ألف ليلة وليلة ديدرو لما فيها من رسم للطبيعة ولأن عالمها السحري يفوق العالم الطبيعي ، وكل ما فيها عجيب وغريب وخارق ولذلك وجد فيها فك عزلتهم وإبعادهم عن القلق الذي ينتاب عالمهم وما يعج به من أحداث لم يقتنعوا بها ومن أجل ذلك اهتدي ديدرو وغيره إلى نشدان السعادة في عالم الشرق المضيء بالاشراقات المعرفية والثقافية ،وسيظل تأثير ألف ليلة وليلة مستمرا بخاصة بعد أن انتعش مؤخرا في الغرب ما يسمى بالأدب الفانتازي ،الغرائبي ،الذي يعتمد على الخيال[2] .

[1]شريفي عبد الواحد ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ،الجزائر ،2001،ص 152 وانظر: **lettres à Sophie Volland ,lettre du 30.10 et 01 .11.1759**

[2]ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن،دار صفحات للدراسات والنشر ،سورية ،،دمشق، 2009م،ص225

أ) صورة شهرزاد في روايات ديدرو:

الحكاية الإطارية والخاتم الناطق:

تدور أحداث " الجواهر المفشية" في الكونجو الشرقية وبطلها أمير شرقي يدعى منجوجيل (**Mangogul**) ولد في الفترة التي كان يحكم فيها الملك شاه باهام امبرطورية الهند والمغول بيد من حديد وهي الفترة نفسها التي بدأت فيها الشعوب تتهيأ للقيام بالثورات بعد أن سئمت سياسة الملوك والأغبياء منجوجيل هو ابن امبرطور الكونجو، السيد الأول في المملكة **erguebzed** السلطان أرجبزاد وخليفة الله في أرضه.

"كان أرجبزاد يحب ابنه حبا شديدا، وقد اعتنى بتربيته أيما اعتناء علمه الفصاحة والرسم والفلسفة والشعر والتاريخ، كما علمه الفروسية وركوب الخيل، وبعد أن شعر بتعب السياسة ومل من الاضطرابات السياسية تنازل عن العرش لابنه الأمير وترك له المجال واسعا لتسيير أمور البلاد[1].

أصبح منجوجيل سلطانا جبارا، حكم مملكته في السنوات العشر الأولى بقوة عجيبة قهر السلاطين في الحروب، ونفذ حكمه في سائر القرى والأمصار، أصلح الاقتصاد واعتنى بالعلوم والآداب وكان قصره مكتظا بالنساء والجواري الحسان وكان الملك الشاب محبوبا من طرف كل نسائه الجميلات، لا سيما بعد أن ألغى الحراسة عليهن وحرر السود، وكانت للملك محظية تدعى مرزوزا، فضلها عن باقي جواريه لجمالها ورقتها وعذوبة حديثها كانت قاصة ماهرة حكت للملك حكايات كثيرة، وكان منجوجيل يحبها لأنها كانت تسلية وتزيل همومه وأحزانه[2].

---

[1]عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص155

[2] مرجع نفسه، ص156

وجاء ذلك اليوم الذي جفت فيه قريحة مرزوزا ، وكان الملك مضطربا، قلقا، يريد التمتع بحكايات جديدة ، ولما لم تجد مرزوزا ما تحكيه اقترحت عليه أن يستدعي العفريت كوكوفا لأنه الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يجد له حلا،بقي الملك حائرا في أمره ولكنه سرعان ما أحضر البخار ونادي بصوت مرتفع العفريت كوكوفا، وفي رمشة عين ظهر جني ذو منظر بشع بلحية طويلة وذيل قصير وقد وقف على كتفه بوم نائم، حيى كوكوفا الملك وقال له: ماذا تريد يا مولاي ؟ فأجابه السلطان:"أريد أن أعرف أسرار جميع نساء القصر، أدخل العفريت يده في جيبه وأخرج خاتما ذهبيا وقال للملك إني أحبك يا بني خذ هذا الخاتم وضعه في أصبعك، وإذا أردت أن تلم بأسرار أية امرأة فما عليك إلاأن توجهه نحو جسدها، فان جواهرها التي تتقلدها تفشي لك كل أسرارها وبصوت واضح ومرتفع، إن هذا الخاتم يتحكم في الحلي والجواهر ويجعلها تبوح بالحقائق ، فرح الملك بخاتمه السحري الذي يمكنه من اكتشاف أسرار النساء والجواري، وعاد على الفور إلى غرفة مرزوزا فأيقضها من نومها وأخبرها بالنبأ، ولم يكن هذا الخبر ليفرح المحظية ولا سيما حينما اقترح عليها أن يبدأ التجربة معها، اضطربت واصفر لونها ورجته أن يبحث عن أنثى أخرى ، فأعفى الملك محظيته من التجربة حتى لا يجرح عواطفها ، وتوجه نحو مقصورة النساء وهناك وقع اختياره على الحسناء ألسين[1].

[1] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،الجزائر،2001، ص158

من هذه النصوص التي يستهل بها ديدرو "الجواهر الناطقة" والتي توخينا في ترجمتها الدقة والإيجاز، يتبين أن مقدمة الرواية شبيهة بالحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة: لقد تعبت الحسناء مرزوزا من ألحكي ولم تعد تجد ما تحكيه للسلطان العظيم.[1]

ولما تيقنت أن قريحتها قد جفت فعلا، نصحته أن يلتجئ إلى كوكوفا، ولقد حضر العفريت وقدم للسلطان الخاتم السحري الذي يمكنه من اكتشاف أسرار النساء أسرار تشكل في جوهرها ، مجموعة من الحكايات الشيقة.

لقد أراد ديدرو أن تكون " جواهره" متممة لحكايات شهرزاد ، وعلى الطريقة الكريبيونية، فاختار لوقائعها الغربية منطقة سماها " الكونجو" وهي لا تختلف عن مصر أو بغداد، فيها المساجد والقصور العالية وخان التجار ، والأسواق المختلفة، ويسكنها "النبلاء " والتجار والحرفيون والعبيد والجواري ، أما أبطالها أربجزاد، منجوجيل ، أمينة ، مرزوزا ، أرزيد ، زبيبة، فهم قريبون من أبطال الليالي في سلوكهم وتفكيرهم وثقافتهم: تختلف عليهم الأحداث ويتعرضون للكثير من المغامرات والمحن.

غني عن القول، اذن، أن ديدرو قد استوحى من ألف ليلة وليلة عددا من النماذج والأساليب الفنية والصور (السراي والحمام، مجالس العلم، سهرات الطرب والغناء) حتى يضفي على روايته عنصر التشويق ويتمكن من قول ما لم يكن أحد يجسر على قوله في السياسة والأخلاق والدين، لقد استطاع أن يجمع بين الخيالي (عجب الخوارق) والواقعي (وصف الأخلاق المتفسخة ونقد الاستغلال والعبودية) وأن يقرب عمله إلى القارئ الفرنسي الذي كان في هذه الفترة مولعا بقصص العجائب **Le fantastique**[2].

[1] مرجع نفسه، ص 159
[2] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر ، 2001، ص 159

ب) صورة المرأة الفرنسية :

اهتم ديدرو في هذه الرواية كثيرا بموضوع " الجنس والمرأة" فقد برع في تحليل بطلاته الشرقيات وتجسيد العيوب والآفات : ولج إلى عالمهن العجيب المضطرب وجسم سلوكهن وانفعالاتهن وهو لم يتردد في تحليل الجنس بكثير من الدقة يدل على فهم عميق للنفس البشرية ، كما أنه لم يتردد في وصف اللقطات الجنسية الجريئة والمكشوفة والنفاذ إلى أعماق المرأة الأرستقراطية وتعرية ميولها ورغباتها[1].

لقد جرب البطل مونجوجيل خاتمه السحري مع ثلاثين امرأة من مستويات مختلفة (أميرات، جواري ، مثقفات...) ونطقت الجواهر الخاضعة لسحر الخاتم بأسرار وحقائق عجيبة غريبة يحتار لها العقل ، وقد كشفت كل هذه الحكايات عن نفسية المرأة ومكرها ورغباتها المكبوتة فمع كل تجربة يعيش القارئ قصة معينة، تكون بطلتها صاحبة الجواهر الناطقة (ألسين ، ألفان ، مرزوزا...)، وفي كل قصة يعيش القارئ خيانة هذه المرأة ومكرها وميلها إلى اللهو والملذات، ويبدو أن ديدرو استطاع أن يجسد انفعالات المرأة التي تخون زوجها ولا تفكر سوى في الجنس، كما استطاع أن يعلل سلوكها وتصرفاتها واضطرابها، وهو يتجلى في روايته فنانا قديرا يدرس شذوذ المرأة من جميع الجوانب ويقطع أحداث قصصه في المواقف المشوقة ليفسر ويحلل ويكشف الدوافع السيكولوجية، جاعلا القارئ يتساءل دائما: "ماذا سيحدث الآن، وما مصير النساء الأخريات اللائي يتسترن وراء المظاهر؟[2].

---

[1] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص 160

[2] غيو شارل، ديدرو، ترجمة محمود سيد رصاص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 78

لقد تمكن ديدرو في روايته، من أن يجمع بين تصوير الأخلاق والتحليل النفسي من جهة، وتوظيف المشاهد والأوصاف الشرقية من جهة أخرى والمرأة الشرقية تتصرف كأية امرأة فرنسية عاشت في القرن الثامن عشر وعانت من قلق شديد ناتج عن الأزمات العديدة التي كانت تئن منها فرنسا ، على الرغم من أنه جعلها تعيش في السراي والقصور الشرقية الخيالية، مما يدل أن الشرق لم يكن سوى قناع يتستر وراءه الأديب لتسديد نقده إلى الفئات الاجتماعية والمؤسسات السياسية والدينية.

وخلاصة القول ،إن ديدرو لم يقلد" الليالي " في الأسلوب (الأجواء/المشاهد/النماذج) فحسب ،وإنما استلهم منها مضامينها وكل ما يمكن أن يخدم أفكاره السياسية والاجتماعية (الصراع السياسي /التفاوت الاجتماعي) ويمكن للباحث أن يبرز بسهولة من الرواية عناصر عدة مستوحاة من حكايات شهرزاد :الحكاية الإطارية ،الخيانة الزوجية ،وصف المضاجعة مع العبيد والخدم ،إقحام الخوارق التي تثير الدهشة مثل العفاريت والخاتم السحري والقدرة على الاختفاء ،تصوير ما كان يدور في القصور من غراميات ومؤامرات تصوير تصرفات السلاطين وقساوتهم وانغماسهم في اللهو والملذات ،وصف الأسواق والمساجد والقصور[1].

لقد خدم ديدرو الرواية الفرنسية وعمل على تطويرها وإثرائها بتقنياته الجديدة ،وتحليلاته النفسية الجادة والعميقة ،وتأملاته الفلسفية ،وتصويره للعادات والتقاليد ،ولا شك في أنه وجد في "ألف ليلة وليلة "ضالته المنشودة ،فاقتبس منها ما اقتبس ،حتى يضفي على أعماله الروائية عنصر التشويق بأسلوبه العذب واستعاراته الشرقية ويقربها إلى الجمهور الفرنسي الذي كان شغوفا بأحلام الطفولة[2]

[1] عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،الجزائر ،2001 ،ص161

[2] مرجع نفسه ، ص 162

2/ أثر ألف ليلة وليلة في سرد وات فولتير:

فولتير(voltaire) أحد مؤسسي حركة التنوير الفكري والذي اقترن اسمه "بحرية الفكر " ولم يكن فولتير مجرد روائي ،بل كان فيلسوفا كبيرا طبع حياته بمؤلفات كثيرة تجاوزت المائتين وستين مؤلفا ،لعل ما يهمنا منها هو إبداعه القصصي بخاصة المتأثر فيه بألف ليلة وليلة ،وقد نالت قصصه القصيرة الحجم إعجاب المتلقين، لما فيها من خيال وظفه عن قصد لانتقاده المؤسسات الرسمية والدينية والسياسية والاجتماعية ، وكان تأثره واضحا بالشرق الذي كان قبلته المفضلة مما دفع بعض النقاد إلى اعتبار قلبه يميل نحو الشرق ،ولقد اعترف هو نفسه أنه مدين لهذا "الشرق العظيم "الذي علمه دروسا في الفلسفة والحكمة وزوده بكل الأساليب والوسائل التي سمحت له أن ينظر إلى العالم المحيط به بنزاهة وموضوعية[1].

وتذكر الدراسات أن تأثير ألف ليلة وليلة بارز في أعمال فولتير القصصية الخالدة حتى قيل :انك لا تستطيع أن تفهم هذه الأعمال دون التعرف إلى ألف ليلة وليلة ،من منظور أن هذا النص الأخير يضع المرء أمام فهم كثير من المشاهير الذين تأثروا بالليالي،أو كتبوا في الخيال العلمي من أمثال فولتير، وتشارل ديكنز،وبر وست،وبورخيس،وأندري جيد، وغوته وغيرهم من مشاهير الفن القصصي العالمي،لأن الخيال العلمي الذي أثارته ألف ليلة وليلة أنعش حس الخيال الأوروبي ومن ضمنهم فولتير الذي أحب الليالي حبا جنونيا حتى قال عنها مرة :"لم أصبح قاصا إلا بعد أن قرأت الليالي العربية أربع عشرة مرة وكم أتمني أن أفقد ذاكرتي حتى أستعيد حلاوة القراءة الأولى[2]

[1] ياسمين فيدوح ،إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ،دار صفحات للدراسات والنشر ،سورية ،دمشق ،2009،ص223
[2] عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ،الجزائر،2001، ص162

لم ينج من سحر الشرق الذي أذاعته ترجمة الليالي إلا عدد قليل من الكتاب المتشبثين بالكلاسيكية المنهارة ، ويعد فولتير من طليعة الأدباء الذين علقوا على الشرق أهمية كبرى،وأقل ما يقال عن أثر الشرق في أدب فولتير القصصي والمسرحي أنه كان قالبا يصب فيه آراءه التقدمية، ويدعو عن طريقه إلى الاصطلاح المنشود[1]

ونذكر من أهم قصص فولتير الشرقية :

زاديج أو القدر .والعالم كما تسير 1748

بابك والفقهاء 1750.كانديد والتفاؤل 1759

الأبيض والأسود 1746.الساذج 1766

الرجل صاحب الأربعين درهما .أميرة بابل 1768

الحمال الأعور.والثور الأبيض 1744

فان في كل قصة من قصصه موضوعا فلسفيا معينا أو مجموعة قضايا فلسفية،يربط بينها رابطا محكما ،أما أبطاله فهم من فئات اجتماعية مختلفة فيهم الملوك والطوائف وغيرهم ، وهم يتأملون فينعمون بقدرها ،تخيب أمالهم في الحياة فيتعسون ،لأنهم عاجزون على أن يفلسفوا موقفهم ،يساعدون الناس فيجزون شرا بما قدموا من خير، ويرتكبون شرا فيكافؤون شرفا ومالا ،يرقصون في الوجود الإنساني ،وكأنهم دمى مشدودة إلى أصابع فولتير يحركها كيفما يشاء[2] .

[1]عبد الواحد شريفي ،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ،الجزائر،2001، ص 171

[2] عبد الواحد شريفي،أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي حالة زاديج أو القدر، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سورية، ع186 ،تشرين الأول 1986

2_1/فولتير وألف ليلة وليلة :

من المعروف أن فولتير اطلع على "ألف ليلة وليلة "وتأثر بها ،ولقد اعترف هو نفسه أنه لم يصبح قاصا إلا بعد أن قرأ ترجمة غالان أربع عشرة مرة ،قراءات متأنية واعية لكونه وجد فيها مادة السرد القصصي لاتنضب، ومضامين إنسانية غزيرة ،وأساليب فنية جديدة[1].

يقول طه حسين في مقدمة ترجمته لقصة "زاديج أو القدر ":

"مر بفولتير طور من أطوار حياته الأدبية، قرأ فيها ترجمة "ألف ليلة وليلة " فشاقته وراقته ووجهته إلى دراسة أمور الشرق فغرق في هذه الدراسة إلى أذنيه ،وأخرج للناس قصصا شرقية بارعة [2]. "

من منا جال في خاطره أن الليالي تشكل مصدرا رئيسيا لرائعة فولتير "زاديج أو القدر"

ومن منا فكر أن قصة "الحمال الأعور "مقتبسة من حكاية "الحمال والبنات الثلاث "

وفي الحقيقة ،لقد كان فولتير من الأدباء الذين انساقوا وراء سحر شهرزاد وتأثيرها،إذ راح يستوحي من حكاياتها الصور الرائعة والمضامين الإنسانية "فلقد اطلع هذا المفكر على ترجمات المستشرقين واتصل بالعالم العربي أبي زيد، فتأثر بالشرق في أكثر مصنفاته الأدبية،مثل زايير، والأبيض والأسود وأميرة بابل وأكثر قصصه مستوحى من

ألف ليلة وليلة بذوق خاص عرف به فولتير"[3].

[1] عبد الواحد شريفي،ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للدراسات والنشر، واهران،الجزائر،2001 ،ص 179

[2] فولتير "القدر"قصة شرقية، ترجمة طه حسين ، دار الملايين ،بيروت ،لبنان، 1960 ،ص 08

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2،ص 30و 31

استعان فولتير ب "الليالي" وأجوائها الشرقية من أجل بث أفكاره ودروسه، في عصر أحب الناس فيه العالم الشرقي وكل ما يمت بصلة ، فاهتمام فولتير بهذه المجموعة لم ينصب على عالم الأحلام مثلما انصب اهتمام غوته،بل تركز على الجانب الأسطوري ،بوصفه رداء شاع استعماله آنذاك في الحكايات التربوية ،وكان غرضه من الاستعانة بشهرزاد هو تجسيد تعاليمه الأخلاقية بواسطة الحكايات وبهذه النظرة كان رائدا في فن القصة[1] .

إن "الليالي" قد حسنت في عين فولتير ،إذ احتلت مكانة الصدارة في مكتبته، أعجب بها إعجابا فائقا و تأثر بأجوائها ومضامينها في أكثر مصنفاته الفنية،ومن الملاحظ أنه استعان بها حتى في مؤلفاته التاريخية والعلمية: وردت في أكثر من موضوع في كتابه "مقالات في العادات" ووظفها في "القاموس الفلسفي " في شرح مصطلح "الخيال " واستعان بها في العديد من المقالات ، لا سيما أثناء تحدثه عن السحر والمسخ والتناسخ في البلاد الشرقية[2].

[1] كاترينا مومسن ، غوته، ألف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد حمو ، مطبوعات وزارة التعليم العالي، دمشق ، سورية ، ط1، 1980 ، ص 411و412

[2] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران الجزائر ،2001 ، ص 181

2-2 / الليالي في قصة " زديج أو القدر " :

في قصر (سيري) الجميل، أنهى فولتير سنة 1748 قصته "زديج أو القدر" وقد نشرها إرضاء للدوقة دومين و المركيزة شاتلي وغيرهما من النساء السلطانات اللائي كن شغوفات بقراءة قصص شبيهة بحكايات ألف ليلة وليلة مليئة بالمغامرات والأهوال، وفي نهاية، سنة 1748، كان الفرنسيون لا يتحدثون في الشوارع والأسواق، سوى عن زديج، البطل الشرقي النبيل الذي فلسف الحياة والوجود، وأظهر مواطن الفساد في المجتمع الفرنسي وانتصر للمظلومين والفقراء[1].

وغني عن القول أن هذه القصة ، "التي حققت نجاحا كبيرا تعد النواة الأولى للقصة الفلسفية الحديثة، وذلك لما طرحته من قضايا فلسفية شغلت الناس في عصر التنوير ولكن في هذه القصة أشياء أخرى غير هذا العرض الفلسفي هو الذي أتاح لها الخلود، وهو نقد الحياة الإنسانية من ناحيتها السياسية والاجتماعية والخلقية، والنفوذ بهذا النقد إلى صميم الطبيعة الإنسانية وما ينشأ عن احتمالها للحياة ، وواضح جدا أن فولتير اتخذ قصته هذه كلها وسيلة إلى نقد الحياة الأوروبية عموما والحياة الفرنسية خصوصا، واتخذ مدينة بابل رمزا لمدينة باريس ، وقصر بابل رمزا لقصر باريس"[2] ، فقد لون فولتير قصته بألوان شرقية رائعة وكساها بردائها المعروف، فبطلها شاب بابلي مثقف محب للعدل والإنصاف عانى الويلات في كل مكان، أما أحداثها فتجري في إطار شرقي عربي (بابل،صحراء مصر،البصرة،جزيرة العرب)[3].

---

[1] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001، ص 183

[2] فولتير،"القدر"قصة شرقية ، ترجمة طه حسين ، دار الملايين ،بيروت، لبنان 1960، ص9

[3] عبد الواحد شريفي ، المرجع السابق ، ص 184 ص 183

تنطلق الأحداث من بابل في عصر الملك مؤابدار ثم تنتقل إلى مصر عبر صحراء سيناء، ثم الجزيرة العربية، وبعدها صحراء أوريب حيث موقع التاجر سيتوك، ثم تستمر الأحداث إلى البصرة حيث يذكر فولتير بدون تفاصيل كثيرة بعض خصائص هذه المدينة وتمتد الرحلة إلى جزيرة سرنديب، ومنها إلى سوريا ليصل البطل في نهاية المطاف من حيث انطلق (أي بابل) إنها رحلة دائرية، مركزها الفيافي العربية التي تغنى بها الأبطال في حكايات شهرزاد[1].

تبدأ،اذن، قصة "زديج أو القدر" بداية شرقية في مناخ خيالي بديع وتنتهي أيضا نهاية شرقية في أجواء تسيطر عليها قوى عجيبة، فهي لا تنطوي على المفاجآت والمباغتات فحسب، وإنما تعرض كذلك مشاهد مثيرة ومغرية متيحة للقارئ الفرنسي أن يتجول مع البطل زديج ، في عالم شرقي لم يألفه من قبل في الأدب الكلاسيكي عالم يحمل أثارا قوية لتلك الأجواء التي أذاعتها " الليالي " في القرن الثامن عشر :

" كان زديج وحبيبته يتجولان عند باب من أبواب بابل ، في ظلال النخيل التي تزين شاطئ الفرات."" لما مثل زديج أمام السلطان، قبل الأرض بين يديه"

ولا تخلو هذه القصة من عنصر التشويق، إذ أن بطلها لا يكاد يخلص من محنة حتى يستعد لمواجهة أخرى ولا يكاد يستقر في مكان حتى يضطر أن ينتقل إلى مكان آخر في عالم شرقي صحراوي شاسع، ويبدو أن فولتير اتبع هذا الأسلوب حتى يوجه نقده إلى المؤسسات والعادات البالية المتزمتة بكل حرية وطلاقة وبعبارة أخرى : حتى يتيح للقارئ أن يتتبع مراحل الرحلة المطعمة بالأفكار الفلسفية المعقدة بدون أن يمل أو يفتر، فهو يتسلل دائما عبر الأحداث القصصية للتعبير عن أرائه وتأملاته، يمزج الخيال بالواقع بدون أن يؤثر على الفكرة التي يريد أن يعرضها على جماهيره[2].

---

[1] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،الجزائر، 2001،ص185

[2] مرجع نفسه ، ص 186

أ/عالم كانديد:

نشر فولتير قصته" كانديد أو التفاؤل " سنة 1759 في جنيف، باسم مستعار : أظهرها للناس مترجمة عن الألمانية بقلم الدكتور رالف ، وقد نالت هذه القصة نجاحا باهرا وانتشرت بسرعة هائلة ، حتى أنه وجد لها ثلاث عشرة طبعة في نهاية سنة 1760 ، ولم يقتصر صيتها على فرنسا ، بل عمت أرجاء أوروبا وترجمت إلى أرقي لغات العالم.

كان يسود النصف الأول من القرن الثامن عشر، في بعض الدول الأوروبية، مبدأ التفاؤل القائل: " هذا أحسن العوالم الممكنة ، وكل شئ فيه على أفضل مايرام" وكان فيلسوف ألمانيا الشهير ليبينز يحمل لواء هذا المبدأ ويعمل على نشره في الأوساط الشعبية ، ولكن ما حدث في العالم من مصائب وكوارث أدى بفولتير إلى رفض" مبدأ التفاؤل" رفضا قاطعا، خصوصا بعد زلزال لشبونة الذي جعل عاليها سافلها واشتعال حرب السنين السبع[1].

واللافت للنظر أن التفاؤل والتشاؤم يتناوبان قلم فولتير، في هذه القصة بشكل مدهش، وقد جعل "بنغلوس" بطلا يمثل التفاؤل ، وجعل " مارتن " بطلا يرمز إلى التشاؤم والحق أنه لم يسبق أبدا للتشاؤم أن عولج علاجا مرحا كعلاج فولتير له، ولم يحدث أبدا أن جعل أي كاتب قارئه يضحك من أعماق قلبه ، وهو يتعلم أن العالم هو عالم ألم وبلية، كما جعله فولتير ، ومن النادر أن تجد قصة تروى بفن بسيط كفن فولتير في كانديد ،و كانديد هي لربما أفضل القصص في كل الآداب العالمية[2].

[1] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر، 2001، ص209

[2] ويل ديورانت، قصة فلسفية ، ترجمة أحمد الشيباني ، د ط ، ص 360

والبطل كانديد ، كما يدل على ذلك اسمه (أي البرئ) ، هو شاب بسيط ومستقيم ، منحته الطبيعة أرقى الطبائع ، وكانت ملامح وجهه تنم عن نفسه ، وقد نشأ في قصر البارون "توندرتن" أحد أعظم إقطاعيي وهو من أنصار التفاؤل لاعتقاده أن كل شر ينجر عنه خير، وأن مآل العالم كله إلى السعادة والتناسق الأفضل ، فلا داع ، اذن، للتشاؤم مادام الهناء يعقب كل محنة أو مصيبة.

لقد تربى كانديد في القصر نفسه الذي تربت فيه كونيجوند ، وقد أحبها وأحبته والتقيا ذات يوم في حديقة القصر ، فأسقطت كونيجوند منديلها ، والتقطه كانديد فرده إليها ، ثم التقت الشفاه ، واصطكت الركب ، وضلت الأيدي ، ومر البارون في أثناء ذلك ، فطرد كانديد من القصر، وخرت كونيجوند مغمى عليها ، ومنذ ذلك الوقت بدأت محنة كانديد : تاه في العالم ، وأذله البلغار، وأصيب في زلزال لشبونة وكاد يحرق فوق محرقة محاكم التفتيش، وكان في كل مكان ، يردد المسألة الهائلة التي وضعت أمام الإنسانية كلها فلم تجد لها حلا: " أقام أمر العالم على خير أم قام على شر[1] "

ومن الملاحظ أن فولتير اتحد بعض أبطال قصته ، (كانديد ، كونيجوند) موضوعا للمحن المتتابعة ليثبت أن العالم لم يقم على الخير المحض : فكونيجوند تخضع لاستحياء البلغار حين يستولون على مدينتها ، ثم تباع فيشتريها يهودي يحملها إلى لشبونة،ويغتصبها الحاكم الاسباني ويستعبدها ، أما كانديد فلقد مرت به هو الأخر محن كثيرة : تحول إلى عبد وعذب وخانته حبيبته، وعلى الرغم من ذلك كان يردد باستمرار : " كل شئ في هذا العالم على أحسن ما يرام ، وكلما زادت مصائب البعض كان ذلك لمنفعة الكل[2]."

---

[1] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر ، 2001، ص 211
[2] مرجع نفسه ، ص 212

ب/ المقارنة بين كانديد وحكايات شهريار وشهرزاد :

تعد" كانديد أو التفاؤل" من أهم قصص فولتير التي تصف شرائح شرقية متعددة، فأبطالها وعلى نمط الحكايات الشعبية العربية ، ينتقلون من مكان إلى أخر (اسبانيا، المغرب ، الجزائر، مصر وتركيا...) بحثا عن المال والحب والمغامرات.

ويبدو أن هذه القصة متأثرة بحكايات شهرزاد الغنية بدروسها الإنسانية وأساليبها الفنية ويتجلى هذا التأثير في مجموعة من العناصر القصصية: المغامرات وعوامل الإثارة، النماذج الإنسانية، الأجواء والمشاهد والعواطف[1].

1) مغامرات كانديد في الدورادو:

لقد طوف كانديد في أوروبا ما طوف وتجول كذلك في أمريكا وشمال إفريقيا ومصر وتركيا، فشاهد كل هذه المناطق تسبح في الدماء والشرور والظلم والاستبداد ، ولم يذق هذا البطل طعم السعادة والهناء إلا في " الدورادو" المملكة الخيالية التي يسودها العدل ويعمها الخير في كل مكان، يقع في مكان مجهول من البيرو، إذ تقوم دونه جبال وسهول وأنهار وحواجز منيعة عجيبة، وهو يكاد يشبه " الجزر الخيالية" التي تسهب " ألف ليلة وليلة " في وصفها تلك الجزر التي قيل عنها إن كل من يصل إليها لا أمل له في العودة حيا إلى وطنه. [2]

---

[1] عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2001، ص 212

[2] مرجع نفسه ، ص 213

واللافت للنظر أن سفر كانديد إلى " الدورادو" لا يختلف كثيرا عن رحلات السند باد البحري إلى المناطق العجيبة ، فبعد أن فر كانديد وخادمه من " كاد يكس" بالبرتغال ، وبعد أن تجولا كثيرا في أمريكا اللاتينية ، استسلما للأقدار واتخذ زورقا مثل السند باد البحري وعبرا به ذلك النهر الذي يضيق تارة ويتسع تارة أخرى ، ليصلا إلى ذلك البلد الغريب الذي يجهل كل شرور العالم، لقد جاء في هذه السفرة:

" قال كانديد لصديقه : فلنصنع قاربا ، ولنسر مع الجريان، فالنهر قد يؤدي إلى مكان مسكون، وإذا لم نجد أشياء مستحبة وجدنا أشياء جديدة ، سارا مع التيار بضعة فراسخ بين الضفاف التي كانت سهلة مستوية تارة، ووعرة منحدرة تارة أخرى، وكان النهر يتسع باستمرار، وأخيرا توارى تحت قبة من الصخور الهائلة، وكان للمغامرين من الجرأة ما استسلما معه للتيار تحت هذه القبة، ويحملهما النهر الضيق بدوي هائل ، ويبصران النور، وأخيرا اكتشفا أفقا واسعا تجاوره جبال منيعة وكان البلد مزروعا عن البهجة ، وكانت أشجار الفواكه المختلفة في كل مكان[1].

يقول السند باد البحري في رحلته السادسة:

" ثم إني قلت في نفسي: " والله لا بد أن هذا النهر له أول وأخر ، ولا بد له من مكان يخرج منه إلى العمار،والرأي السديد عندي أن أصنع زورقا صغيرا ولأتوكل على الله، فان وجدت لي خلاصا أخلص وأنجو بإذن الله تعالى، وان لم أجد لي خلاصا أموت داخل النهر"[2].

---

[1] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر، 2001، ص 215

[2]عبد الواحد شريفي ، ينظر: voltaire . romans et contes / candide ou l’optimisme 309

" ثم إني قمت، وصنعت فلكا، وسرت به في النهر ومازلت سائرا إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل وأدخلت فيه الفلك وقد صرت تحت الجبل، وأدخلت فيه الفلك وقد في ظلمة شديدة تحت الجبل وكان التيار قويا تارة ومستويا تارة أخرى ، ولم أزل على هذه الحالة سائرا والنهر يتسع أحيانا ويضيق أحيانا أخرى، ثم إني بصرت نورا ورأيت أفقا واسعة[1] "

من الواضح ، اذن ، أن سفرة كانديد إلى " الدورادو " شبيهة إلى حد ما بسفرات السند باد البحري إلى الجزر النائية ، ولئن كان هذا الأخير يكافأ دائما بالجواهر واللؤلؤ والذهب ويعود إلى بغداد سالما غانما ، فان جهود كانديد وخادمه لم تذهب سدى بل توجت بالهدايا والأموال الطائلة ، فالدورادو هو أحسن العوالم الممكنة :

الماس ، والزمرد والياقوت ، انه نقيض العالم الأخر (أوروبا) جنة فولتير الفاضلة حيث لا حرب ولا فقر ولا رهبان يحكمون ويحرقون من يخالفهم في الرأي ، جاء في قصة " كانديد" :

"وأخيرا اكتشفا أفقا واسعا، وكان البلد مزروعا بالفواكه والخضر وكانت الطرق زاخرة بعربات رائعة صنعت بالذهب والماس وينزل كانديد إلى البر وكان بعض الأولاد يلعبون بقطع كبيرة من الذهب لامعة لمعانا عجيبا ، ويرغب كانديد وخادمه في التقاط بعض الحجارة فهي من ذهب وزمرد وياقوت ولؤلؤ يصلح أصغرها لأعظم زينة في عرش المغول[2]."

---

[1] عبد الواحد شريفي ، الرجع السابق ، ينظر: voltaire. Romans et conte/ candide ou l’optimisme 310

[2] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر،2001 ، ص 215

وجاء في رحلة السند باد البحري السادسة:

" عند ذلك طلعت إلى الجزيرة ، وقد رأيت عينا ماؤها صاف ، وبجانبها شاهدت كثيرا من أصناف الجواهر والمعادن واللآلئ وهي مثل الحصى في مجاري المياه وجميع أرض ذلك المكان تلمع من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها ، وأخذت معي من تلك المعادن والجواهر واللآلئ شيئا كثيرا."

ويقول السند باد في رحلته الثانية التي ترجمها غالان بأسلوب سلس وجذاب :

" مشيت في ذلك الوادي، فرأيت أرضه من حجر الماس وهو حجر رائع، ثم قمت وجمعت من الجواهر والحجارة الكريمة ما يكفيني[1]."

في الحقيقة إن رحلة كانديد إلى الدورادو مقتبسة من حكايات الليالي اقتباسا يكاد أن يكون تاما ، وما يلفت الانتباه أن هذه الرحلة قد لونت بألوان شرقية زاهية على الرغم من حدوثها في أمريكا اللاتينية ، فالبطل كانديد يستقبل في الدورادو من قبل عشرين جارية ويؤخذ إلى حمام بني على الطراز العربي الإسلامي، ويلبس حللا من الحرير وزغب صغار الطيور، ولما يقترب من بهو قصر الملك يسأل أحد الجنود عن الوضع الذي ينبغي أن يتخذه لتحية الملك (هل ينبغي الركوع أو السجود وهل يجب تقبيل الأرض بين يديه) ، ويشاهد كانديد كذلك، في الدورادو قصورا بنيت على غرار قصور " الليالي " بالذهب والفضة ويتناول أنواعا من الطعام تستدعي ذكرى موائد السند باد البحري، ولما يقرر العودة إلى وطنه " يوافق الملك على ذلك، ويحضر له عشرين كبشا محملة ذهبا وألماسا متنوعة"[2].

---

[1] عبد الواحد شريفي ، ينظر : 277 /1 A. Galland. Les mille et une nuit

[2] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2001 ، ص 216

إن الدورادو، المعادل للشرق في النص القصصي ، هي الأرض المثالية التي تناهض بأخلاقها ونظمها ورقيها عالم الغرب ، إذ تجد فيها عامة الشعب المنفعة والسعادة والهناء ، انه البلد الذي لم يعرف أبدا محاكم التفتيش والسجون ومصالح الرقابة وغيرها ، من وسائل القمع :

جميع الناس سواسية، يتعاملون وفقا لمبدأ " عامل الناس كما تحب أن يعاملوك[1] "

[1] عبد الواحد شريفي ، مرجع نفسه ، ص 217

2)صورة المرأة :

المرأة في ألف ليلة وليلة ، محتقرة ومستغلة جنسيا ومعنويا، سلعة في الأسواق تشترى وتباع لمن يدفع أكثر ، والمرأة الشابة الجميلة، في ألف ليلة وليلة تتصف بالشذوذ الجنسي، فهي لم تتدرب على الغواية والتهتك فحسب ، وأنما تعودت أيضا على ممارسة الجنس مع الجان والحيوان أيضا، أما المرأة العجوز في ألف ليلة وليلة فهي شريرة ماكرة، تقوم بأدوار خطيرة في تغيير مجرى الأحداث القصصية.

والمرأة في قصة " كانديد أو التفاؤل " ضعيفة ومستغلة جنسيا ومعنويا، خلقت ليتمتع بها الرجل، لا قيمة لها تذكر سجينة في قصرها مغلوبة على أمرها ، فهذه كونيجوند يغمى عليها حين ترى أباها يطرد حبيبها من القصر وتخضع لرغبات البلغار الجنسية وتباع في الأسواق فيشتريها يهودي يحملها إلى لشبونة، ثم يغتصبها الحاكم الاسباني بدون رفقة ولا رحمة وتنتقل من قصر إلى قصر كأية جارية أخرى، فيتمتع بجسدها التجار والضباط وتنتهك حرمتها في كل مكان، والمرأة الجميلة في هذه القصة، تدنت منزلتها بشكل مثير للدهشة فهي وسيلة لذة، وغرض شهوة، وأداة خدمة، جاء على لسان أحدى البطلات[1] :

" لقد اشتراني تاجر من القراصنة وأتي بي إلى تونس وباعني إلى تاجر آخر، وباعني هذا الأخير في طرابلس ومن طرابلس بعث في الإسكندرية ثم في أزمير إلى الأستانة لقد عشت مع العشرات من الرجال وأنا الآن جارية لأغا الانكشاريين[2]"

[1] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر، 2001 ، ص 218

[2] عبد الواحد شريفي ، ينظر: voltaire. Romans et contes/ candide ou l'optimisme.234

والمرأة، في" كانديد أو التفاؤل" شاذة جنسيا أيضا : تمارس الجنس مع الحيوان بكل راحة واطمئنان، بل لا تتردد في الإخلاص له وقد تقتل نفسها من أجله، ويقدم النص التالي نموذجا للمرأة التي تتصل جنسيا بالحيوانات دون أن تخشى رقابة المجتمع" كانت الشمس تغرب،وسمع كانديد و ككندو أصوات خافتة يلوح صدورها عن نساء ، نهضا بسرعة مع جزع وهلع وكانت هذه الصيحات تخرج من فتاتين جميلتين عاريتين، على حين يتعقبهما قردان وتأخذ الرحمة كانديد الذي يطلق النار على القردين غير أن لسانه انعقد حينما رأى الفتاتين تقبلان القردين بحنان، باكيتين فوق جسميهما مالئتين الجو عويلا محزنا فيقول ككندو" لقد قتلت عاشقي هاتين الآنستين يا مولاي " "حينها استوعب كانديد الموقف ،في الحقيقة، إن ظاهرة "تعاطي الجنس مع الحيوانات"التي اشتهرت بها الليالي لم تكن معروفة في الأدب الفرنسي قبل ظهور ترجمة غالان ولا نستبعد أن يكون فولتير قد تأثر بأهم الحكايات الشهرزادية التي صورت بصدق وعفوية اللقطات الجنسية الشاذة بين النساء والحيوان : ففي حكاية (داء غلبة الشهوة في النساء) نلتقي بأميرة "وقد علمت أنه لا كائن ينكح أكثر من قرد ، فأخذت قردا وأقامت معه علاقة جنسية ولما يكتشف البطل حقيقتها يقتل القرد، فتملأ الأميرة الجو عويلا طالبة لنفسها الموت بعد هلاك حبيبها.

أما المرأة العجوز، في "كانديد أو التفاؤل" فلا تختلف كثيرا عن عجائز الليالي، فهي مخادعة لئيمة، خبيثة، داهية تسعى لإيصال العاشق إلى المعشوقة تارة وللتفريق بينهما تارة أخرى:"دنت امرأة مسنة من كانديد وقالت له:تشجع يا ولدي واتبعني، تبع كانديد العجوز إلى خربة،فتترك له ما يأكل ويشرب وتقول له: سأعود غدا[1].

---

[1] عبد الواحد شريفي ، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ،الجزائر، 2001، ص 220 و221

وتعود العجوز مساء غد، وتقول له " تعال معي، ولا تنطق بكلمة وتأخذه من ذراعه وتسير معه في الحقول المجاورة ويصلان إلى منزل فيفتح الباب وتأتي بكانديد من سلم سري إلى غرفة وتتركه متكأ من ديباج وتغلق الباب وتنصرف ويظن كانديد أنه يحلم وتظهر العجوز من فورها وكانت تسند بمشقة امرأة ذات قامة رائعة وجواهر ساطعة ، إنها حبيبته كونيجوند .

وكما تستطيع العجوز أن تجمع بين المحبين فإنها قادرة أيضا أن تفرق بين الرجل وحبيبته، بل وأن تجعلها تخونه ثم تعيدها إليه:

" قالت العجوز لكونيجوند: " أيتها الآنسة، أنت نبيلة ولا تملكين فلسا فعليك يتوقف أن تكوني زوجا لأكبر سيد في هذه المنطقة تخلي عن كانديد وهل عليك أن تفاخري بالوفاء في كل ابتلاء "واعترف بأنني لو كنت في مكانك لما ترددت في الزواج بالسيد الحاكم، ثم ذهبت العجوز عند كانديد ، وقالت له:"فر، وان لم تفعل حرقت بعد ساعة"

يمكن القول، اذن، إن فولتير قد تأثر ب"ألف ليلة وليلة" في أهم قصصه الفلسفية، استلهم منها مضامينها الإنسانية الغزيرة وأساليبها الفنية المتنوعة ونماذجها البشرية حيث رسم أبطاله في ضوء شخوصها، واعتمد عليها أكثر من مرة لإسناد نقده السياسي والاجتماعي أولآضافة شئ من الخيال الرقيق إلى كتاباته الفنية الجادة أو لتصوير بعض الآراء والأذواق والعادات تصويرا حيا، لقد شغفه كل شئ في هذه المجموعة القصصية الشعبية، شغفه اللامألوف (بالفانتاستيك) الذي يبعث البهجة في قلوب القراء وقصور السلاطين المزدانة بالجواري والعبيد والنساء الفاتنات اللائي يقدسن الحب والتجار الذين يغامرون من أجل المال واكتشاف الحقيقة[1].

[1] مرجع نفسه ، ص 226

خاتمة

خاتمة:

ما يمكن قوله في الأخير هو أن رحلة البحث ممتعة لكن لكل بداية نهاية وحتى وان كانت مفتوحة، فأحمد الله الذي وفقني على إتمامه.

قد لا يكون من السهل كتابة خاتمة للموضوع وإصدار أحكام عامة عن " ألف ليلة وليلة" ذلك _أني أعتقد _ أن المرء مهما بلغت لديه درجة الاجتهاد في الوصول إلى مثل هذه الأحكام المطلقة يبقي وعيه ناقصا وفي حاجة إلى المزيد من العلم والبحث والدراسة لإتمام هذه الأحكام ، ذلك أن" ألف ليلة وليلة " كان لها التأثير العظيم على الآداب الأجنبية، فمنذ أن اطلع عليه الغربيون وهم مأخوذون بعالم الشرق المتمدن والمتحرر من كآبة وقيود الكلاسيكية بسحر العوالم العجيبة التي رسمها " الحكواتي" العربي بعفوية وبساطة عارضا البهيج والقبيح، العقلاني والخيالي.

بعد هذا العرض شامل حول موضوع ألف ليلة وليلة، نصل في نهاية المطاف إلى خاتمة البحث لنستخلص أهم ما وقفنا عنده من خلال الفصول السابقة، وهي مجموع النتائج استخلصنا ها من هذا البحث وتتمكن في:

- ألف ليلة وليلة من ألف ليلة مجموعة حكايات أدبية شعبية خرافية، اشترك في نسجها أكثر من حاكي وأكثر من راو.

- ان الدارس لا يشك في أن تكون لليالي رواسب وجذور متعددة : هندية، فارسية،يونانية، فرعونية، مسيحية ويهودية لأن ظاهرة التأثير و التأثر ظاهرة طبيعية في حياة الأمم والشعوب.

- لقد كان أثر ألف ليلة وليلة على الغرب واضح ألمعالم استهوى الأدب الفرنسي الذي نقل أسلوب الأديب الفرنسي الى السهولة وأعطاه المزيد من المعاني والصور وفتح المجال لخياله فقد رفع من حدة خياله .

- أحدث هذا التأثير تغيرا بالشكل والمضمون والنظرة العامة حتى توجهت الى مرحلة من عطاء الفكري والخيال الخصب والأحداث المترابطة.

- ان النجاح الذي حققته ترجمة غالان في القرن الثامن عشر كان كاسحا، وكأن هذه الحكايات وجدت في فرنسا تربة خصبة، فقد قدم لقرائه ترجمة أنيقة الأسلوب ،رائعة السبك تتسم بالوضوح والبساطة، فقربت الأجواء الشرقية الى الجمهور الفرنسي في ديباجة مشرقة.

- يعد فولتير من أبرز أدباء فرنسا وهو أكثر أدباء تحمسا لتنوير فتأثر بحكايات ألف ليلة وليلة ونسج قصصه على منوالها.

- اختلاط فصول ألف ليلة وليلة بدم أدباء الغرب وخاصة الأديب الفرنسي فولتير حتى ظن بعض النقاد أن كتاباته ما هي إلا اعادة الصياغة فقط، وبذلك تكون الليالي قد أحدثت انقلابات في الذوق والتصور والفهم واستعان بها كبار الكتاب في ابتكار الادوات الشعرية والرموز الفنية والحبكات القصصية فتطورت لديهم صناعة الرواية والمسرح والشعر بأبعد ما كانوا يتوقعون.

- وأخيرا نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بقليل في انجاز هذه المذكرة وأن نكون قد تمكنا من الالمام ببعض الجوانب الهامة فيها طامحين الى التعلم ولاستفادة من أخطائنا التي يبقى على أساذتنا الكرام تصويبها وتقويمها، فان كنا قد أصبنا فذلك ما نرجوه حق الرجاء ، فلله نسأل التوجه والإرشاد وفوق كل ذي علم عليم.

قائمة المصادر و المراجع

❖ أولا: المصادر:

القرآن الكريم

1)شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1998

2) Antoine Galland :les mille et une nuits . Tome i.booking international paris.1996

❖ ثانيا: المراجع:

1)عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001

2)ياسمين فيدوح ، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار الصفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، 2009

3)داوود سلوم ، الأدب المقارن في الدراسات الأدبية المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1424ه،2003م

4)سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة ، دار المعارف، مصر ، 1976

5)محمد جاسم الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي، الواقع في دائرة السحر، د ط

6)محمد الدعمي، الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2006

7)رانيلا ، الماضي المشترك بين العرب والغرب، ترجمة نبيلة إبراهيم، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط1، 1999

8)محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة ، بيروت، لبنان، 1973

9)رنا قباني ، أساطير أوروبا عن الشرق، ترجمة صباح قباني، دار طلاس، ط1، 1988

10)عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط3، 1979

11)كاترينا مومسن، غوته، ألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد حمو، مطبوعات وزارة التعليم العالي، دمشق، سورية، ط1، 1980

12)غيو شارل، ديدرو، ترجمة محمود سيد رصاص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981

13)فولتير" القدر" قصة شرقية ، ترجمة طه حسين، دار الملايين، بيروت، لبنان، 1960

14)نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت

15)ويل ديورانت، قصة فلسفية، ترجمة أحمد الشيباني، دط

16)أحمد حسن الزيات، في أصول الأدب، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1935

17)حنا عبود، القصيدة والجسد، اتحاد الكتاب العرب، 1988

❖ ثالثا: قائمة الدوريات:

1)عادل عبد الله، ألف ليلة وليلة وفن البر لسك الانجليزي في القرن التاسع عشر،مجلة الموقف الأدبي

2)محسن جاسم الموسوي، مقدمة لدراسة الإسهامات العربية في رفد الرواية العالمية، مجلة أقلام، ع1، 1978

3)جمال شحيد، ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية، مجلة المعرفة، ع192،191 ، 1978

4)هيام أبو الحسن، ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي، مجلة الفصول، ع3، مجلد3، 1983

5)ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، صحيفة الالكترونية، ع10615، بتاريخ 2002/7/2

6)ياسمين فيدوح، مكانة ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي، صحيفة اليوم الالكترونية، ع10615 ، بتاريخ 2002/7/2

7)علي الشدوي، مجلة جسد الثقافة الرابط:

، الملحق الثقافي لجريدة عكاظ ، 2005www.ade.net

8)عبد الواحد شريفي، أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي حالة زاديج أو القدر ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، ع 186، تشرين الأول 1986

9)عبد الواحد شريفي، ألف ليلة وليلة ، الأصول والتطور، مجلة المعرفة

10)يوسف عز الدين ، التناقد الأدبي بين العربية والانجليزية ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ع95 ، 2002

الفهرس